وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة د. مولاي الطاهر –سعيدة-

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر ل.م.د في اللسانيات العامة الموسومة بـ :

البلاغة العربية بين التأصيل والتجديد

"اسهامات محمد العمري في البلاغة المعاصرة(تطبيقيا)

إعداد الطالبة:

* سعيدي يمينة

إشراف الأستاذ:

* د. كريم بن سعيد

السنة الجامعية: 1439هـ/1440هـ- 2018م-2019م

جامعة د.الطاهر مولاي . سعيدة .

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر ل.م.د في لسانيات عامة الموسومة بـ:

البلاغة العربية بين التأصيل والتجديد

"اسهامات محمد العربي في البلاغة المعاصرة(تطبيقا)"

إعداد الطالبة:

- سعيدي يمينة.

إشراف الأستاذ:

- د.كريم بن سعيد.

أعضاء لجنة المناقشة :

- الأستاذ:د.كريم بن سعيد..... مشرفا ومقررا.
- الأستاذ:د.زهاف الجيلالي..... رئيسا ومناقشا.
- الأستاذ:د.مرسلي عبد السلام..... مناقشا.

السنة الجامعية:1439هـ/1440هـ- 2018-2019

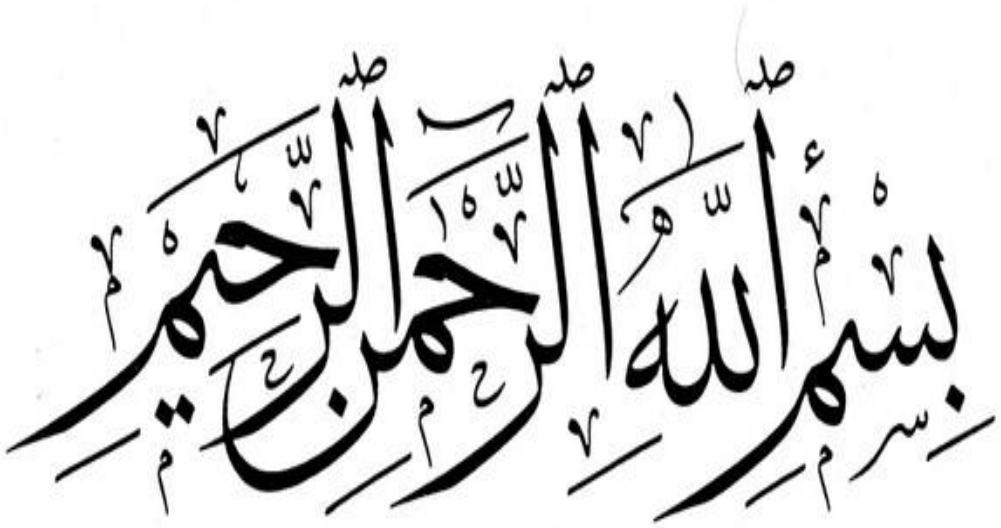
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

"الحمد لله الذّي بنعمته تتمّ الصالحات"

*قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من لا يشكر النّاس لا يشكر الله".

*ولهذا يتوجب عليّ أن أتقدّم بجزيل الشّكر إلى

أستاذي الفاضل: ***الأستاذ الدكتور كريم بن سعيد***،الذّي لم يبخل عليَّ بتوجيهاته ونصائحه القيّمة،والذّي أغدق عليّ بكرم صبره وصدق نصحه،فلولا توجيهاته القيمة لما اكتمل هذا العمل المتواضع.

*كما أتوجه بالشّكر الجزيل إلى لجْنَة المناقشة التّي شرفتني بقبول قراءة ومناقشة وتقييم هذا العمل المتواضع وشكراً لمن كان عونًا ومشجعًا لي أثناء دروب سنوات دراستي خاصة أساتذة قسم اللّغة والأدب العربي وعمال المكتبة المركزيَّة.

إهداء

إلى منبع الحب والعطاء والحنان.....أمي الحبيبة.

إلى من علّمني العطاء ومعنى الحياة.....أبي العزيز.

إلى من كان تشجيعهم ودعمهم لي شمعة أنارت دربي وحياتي

إخوتي:محمد،رشيد ،بوزيان.

إلى أختي الوحيدة والعزيزة على قلبي:فاطمة.

إلى زوجي ورفيق دربي.....حفظه الله.

إلى صديقاتي العزيزات:صارة،منال،حبيبة،فاطمة،أسماء،حنان.

إلى كل زملائي وزميلاتي بقسم اللّغة والأدب العربي.خاصةً قسم الثانيَّة ماستر-لسانيّات عامة-دفعة2018 م-2019م.

أهدي هذا العمل المتواضع راجيَّة من المولى عزّ وجلَّ أن ينال القبول والنَّجاح.

يمينة

مقدمة

يُعَدُّ من العلوم التّي نشأت في أحضان الدّراسات القرآنية،لذلك نجد كثيراً ممّن كتبوا في بداياته هم الذين اعتنوا بإظهار إعجاز القرآن الكريم.

ولقد مرّ هذا الفن بمراحل من التهذيب ﻥ فيها بين اتّجاهات عدّة فتلوّن بها واصطبغ بصبغتها،وما كاد أن يستقرّ ويقف على سوقه حتّى تعثّر في مهاوي المنطق ومنزلقات الفلسفة،فتنحّى الذّوق واعتنى المنظّرون بالتّعقيب والتّقسيم اعتناءً ضعفت فيه البلاغة وقلّ رونقها،وتناقل القوم ذلك جيلاً عن جيل من شرحٍ ومن مختصَرٍ ومن مُطوَّلٍ ومن محشوٍّ،ضاعت فيه روح البلاغة العربيَّة.إلاّ أنَّ الذّي فعلوه من تقسيمٍ جاء بما يُناسب تلك المرحلة،ولذلك فإنَّه ينبغي أن يتغيَّر في ما يتلاءم مع عصرنا وما فيه من علوم ونظريات حديثة.

ولكن لا ننس أن نشير إلى ما بذله عبد القاهر الجرجاني في سبيل إحياء البلاغة خاصّة في كتابيه:"دلائل الإعجاز"و"أسرار البلاغة"،وهو إن لم يتحرّر من أسرار المنطق تحرّرًا كاملاً،إلاّ أنّه يعطي الذّوق مجالاً كبيراً ممّا حد بالدّارسين أن يرفعوا من شأنه ويعدّونه مؤسّس البلاغة العربيَّة ومرسي أركانها.

إلاّ أنَّ البلاغة العربيَّة–وإنْ كانت لقيت عناية كبيرة في عصورها الأوّلى–غير أنّها تخلّفت عن ركب العلوم الحديثة،واعترضت طريقها من الصّعاب والعقبات ما وقف بها عن مسار الذّوق والجمال.

ولأجل ذلك،كان من الطّبيعي أن يعيد العلماء النَّظر في البلاغة العربيَّة من منظور جديد يهدف إلى إحياء التّراث البلاغي وكسر النَّموذج المدرسي الوحيد الذّي حُنِّطت فيه البلاغة العربيَّة،وهو نموذج السّكاكي المتوفى 226هـ ومن طرف القزويني739هـ وشُرّاح تلخيصه.فقد هبَّ

الدّارسون من أمثال"شوقي ضيف"و"بدوي طبّانة"و"محمد العمري" ،وغيرهم:لفهم الأعمال الغربية في البلاغة الجديدة وإعادة النَّظر في الدّرس البلاغي العربي من هذه الزّوايا للكشف عن النّماذج المخفيَّة من تراثنا البلاغي إيمانًا منهم أنَّ القراءة التقليدية لم تَعُدْ ذَات جَدْوَى في فهم العقل البلاغي العربي.

ويُعَدُّ مد العمري من بين البلاغيين العرب الذّين استطاعوا وضع البلاغة العربيَّة في مكانها الطبيعي،ولعلّ اهتمامه بالبلاغة المعاصرة كانت نتيجة وحوصلةً للدراسات المبكّرة نظيراً لتشبّعه الكبير بالتُّراث العربي والمناهج الغربيَّة.إضافة إلى مشروعه البلاغي الذّي استند فيه إلى بلاغة عربيّةَ جديدة تقوم على الاجتهادات العربيَّة التّراثيَّة المتميّزة،وكذا البلاغة الغربيَّة وما تقوم عليه من موروث يوناني قديم،بالإضافة إلى اتّجاهاتٍ أسلوبيَّة حجاجية ونّصية حديثة،ومن هنا كان موضوع بحثنا حول "البلاغة العربيَّة بين التّأصيل والتّجديد"إسهامات محمد العمري في البلاغة المعاصرة(تطبيقًا)".

ولعلّ أهم أسباب اختيارينا لهذا الموضوع،كونه موضوعًا لا يزال محلّ نقاش وجدل بين النّقاد والمفكرين وأيضًا كونه ذات أهميَّة كبيرة في أدبنا العربي،ولم يكتفِ البحث بذلك،بل كان من الضّروري أن يقدّم قراءة لمشروع أَخَذَ على عاتقه إعادة قراءة البلاغة مستعينًا بمعطيات الدّرس الجديد،فكان اختيارنا لمشروع "محمد العمري"نموذجًا نكتشف منه الإسهامات التّي قدّمها في الدّرس البلاغي الجديد،وكان هذا الاختيار نابعًا كذلك من الميول إلى الدّراسات التّي تحقق توازنًا بين التّراث القديم والوافد الجديد فضولٌ يستهوي النَّفس دائمًا لاختراق أفاق المعرفة البلاغيَّة،وهذا عامل يغري أيّ باحث في الغوص في ثناياه وكان هذا سبيلاً لطرح الإشكالية التالية:

-هل من الممكن ظهور بلاغة عامة تجمع بين معطيات البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة؟فيم تكمن جهود العمري في تحديث البلاغة القديمة؟

وللإجابة على هذه التساؤلات إرتأينا إلى تقسيم بحثنا وفق الخطة التالية:وأربعة فصول تتقدّمهم مقدمة فمدخل ثم خاتمة،تناولنا في المدخل البلاغة العربية بين السليقة والتدوين،أمَّا الفصل الأوّل:جاء بعنوان البلاغة العربية وعلاقتها بالعلوم الأخرى،ويشتمل أربعة مباحث،في المبحث الأوّل تطرقنا ل"مفهوم البلاغة العربية(لغةً واصطلاحًا)،أمَّ المبحث الثاني تناولنا فيه أقسام البلاغة العربية،بينما المبحث الثالث فخصصناه للحديث عن أهمية البلاغة العربية ومراميها،لنخص المبحث الرّابع بعلاقة البلاغة العربية بالعلوم الأخرى.أمَّا الفصل الثاني الموسوم ب"جهود العلماء في التراث البلاغي"وتطرقنا فيه أيضًا إلى أربعة مباحث،جاء المبحث الأوّل بعنوان:البلاغة العربية عند اللغويين والأدباء أمَّا المبحث الثاني فعنوناه ب:البلاغة العربية عند النّقاد وجاء المبحث الثالث بعنوان ازدهار الدراسات البلاغية أمَّا المبحث الرّابع والأخير فعنوناه ب:جمود البلاغة العربية وتعقيدها.أمَّا الفصل الثالث المعنون ب:جهود العلماء في الدّرس البلاغي الجديد،ضمَّ هو الأخر ثلاثة مباحث،تحدثنا في المبحث الأوّل عن الإرهاصات الأولى في تجديد البلاغة،أمَّا المبحث الثاني فعنوناه ب:مفهوم التجديد(لغة اصطلاحًا)،أمَّا والمبحث الرّابع والأخير تطرقنا فيه إلى:جهود واتجاهات في البلاغة.

وفي الفصل الرّابع المعنون ب:"إسهامات محمد العمري في البلاغة المعاصرة(تطبيقًا)،تطرقنا فيه إلى ثلاثة مباحث،تناولنا في المبحث الأوّل:مولده ونشأته ومؤلفاته،أمَّا المبحث الثاني فقد تناولنا فيه كتاب"البلاغة العربية"أصولها وامتداداتها"بينما تناولنا في المبحث الثالث:كتاب"الموزانات الصوتية في

الرؤى البلاغية"وقد حاولنا تلخيص هذين الكتابين وإبراز أهم الإسهامات في البلاغة العربية بين التراثيين"التجديد والقديم"،ثم خلص البحث إلى خاتمة تضمّنت أهم النتائج المتوصّل إليها.

الشعريَّة:نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشّعر".

-ثمّ أنهينا بحثنا بخاتمة تضمنت كل النتائج التّي توصلنا إليها خلال رحلتنا في البحث.

-ولقد حاولنا جاهدين أن نوفّقَ بين فصول ومباحث هذه المذكرة،معتمدين في جانبها النَّظري على المنهج التّاريخي التحليلي،أمَّا الجانب التطبيقي فارتأينا الاستعانة باجرائي الوصف والتحليل،الذّي رأينا أنّه الأقرب إلى مثل هذه الدّراسات،وأنَّه مساعد في خوض غمار هذه التَّجربة.

-وكما هو الشّأن مع كلّ باحث،فقد اعتمدنا في بحثنا هذا على جملة من المصادر والمراجع،ممّا رأينا ذات أهمية بهذا الموضوع،وكان من أهم هذه المصادر"أسرار البلاغة"لعبد القاهر الجرجاني و"الكتاب"لسيبويه و"الكامل"للمبرد،وغيرها من المصادر التّي أَثْرَتْ البحث.

-إضافة إلى كتب ومراجع أخرى ذات صلة ببحثنا منها"البلاغة العربيَّة أصولها وامتداداتها"و"الموازنات الصوتية في الرّؤى البلاغيَّة"ل:محمد العمري،و"البلاغة العربيَّة بين التّأصيل والتّجديد"ل:مصطفى الجويني،"الدّفاع عن البلاغة"ل:أحمد حسن الزّيات.وغيرها من المصادر والمراجع التّي لا يسعنا ذكرها إلاَّ في الفهرس.

-كما كان الخوض في غمار هذا البحث متعبًا وشاقًا،نظرًا لكمية المعارف وتشعُبها خصوصًا في فصله الثاني،فكانت كثرة المراجع والمصادر سببًا في تأخرنا نوعًا ما،وحيرتنا في اختيار الأنسب

منها،وهذا ما زاد من صعوبة البحث لدينّا،كما واجهتنا صعوبات أخرى منها:محدودية الوقت ،إذ أنَّ مثل هذا الموضوع يحتاج إلى تعمق كبير نظرًا لأهمية ،وقلّة الدّراسات العربيَّة في مجال البلاغة الجديدة.

-ولكن رغم هذه العوائق إلاَّ أنَّها لم تمنعنا من تقديم هذه المذكّرة التّي حاولنا جاهدين أن يكون بحثًا يرقى إلى مستوى البحوث الأكاديميَّة الهادفة.

مدخل

لقد نبت الأدب العربي في الصّحراء وترعرع فيها،فهو أدب البداوة والرّحيل والتّنقل،أدب قومٍ ثروتهم بيانهم،حيث يعيشون بالأهواء لا بالتبصر والتّروي،كل شيء عندهم بديهة وارتجال،ولاجِلْدَ لهم على التّحليل والاستنباط.فكان الأدب عندهم سليقة وفطرة ينشأونَ عليه ويرثونه في تكوينهم الرّوحي،كان شيئًا غير ما عَرَفَهُ المحدثون،فَهُمْ لا يَشْقَوْنَ به ولا يتكلّفونه،فمتى جالت الخواطر بأذهانهم أو جاشت الأهواء في صدورهم بأنواعها في قوّة ووضوح لا يَتَعَمَلُون ولا يتأنّقون،فكان حرصهم على المعنى قبل حرصهم على الصّياغة وهّمهم بسطه وإبرازه في جلاء،على أنَّ الصّياغة كانت متقنة فصيحة وجزلة رصينة ،فهم مجبلون على متانة الكلام وجزالة الألفاظ وفخامة الشّعر.[1]

لهذا نجد أنَّ طبيعة الثَّقافة العربية أثّرت في عصر ما قبل الإسلام في المنتج الثّقافي،ووسمته بسمات خاصّة،فقد سادت الأميّة وندرت القدرة على القراءة والكتابة،فكانت معارف العصر تُنتج شفاهاً وتتلقى سَمَاعاً،لم تكن هناك وسائل كتابية لحفظ المعارف والعلوم،فكانت هذه تُحْفظُ في الصّدور فتمرُّ عليها السّنون فتتغيّر وتختلف باختلاف المواقف التي تستدعيها،وتتشكّل مرّة أخرى حسب الظّروف التّي تحيط بها وتؤثر فيها.ثمّ جاء بعد ذلك عصر التّدوين والذّي يُقال بأنّه تأخر بعض الشّيء،وبالنّظر إلى العمق التّاريخي للحضارة العربية،فقد اشتُهِرَ أنَّ حدود عصر التّدوين هي منتصف القرن الثّاني الهجري،أي مابين سنة(138هـ)و(158هـ)،حين طَبَعَتْ حركة التّدوين الحياة

[1] يُنظر:محمد كريم الكواز،البلاغة والنّقد(المصطلح والنّشأة والتجديد)،مؤسسة الانتشار العربي،بيروت(لبنان)،ط1، 2006 ص:135-136.

الفكريّة والاجتماعيّة والعربية الإسلامية بطابعها لمدّة من الزّمن،امتدّت نحو قرن أو يزيد[1].حتّى إذا عدنا إلى البحث في المصادر الأولى للبلاغة والنّقد لابّد من أن نتذكر دوماً أنّ معلوماتُنا عن عصر ما قبل الإسلام وصدر الإسلام وعن الدّولة الأموية قد مرّت بعمليّة التّدوين وخضعت للمؤثّرات التّي كانت تؤثر في موقف المؤرّخ(المدوّن)،بل لقد أُنتجت هذه المعلومات وفقاً للمأرب السّياسية والفكرية والاجتماعية التّي كانت سائدة في عصر التّدوين،وفي النّهاية وصلت في صورة-لعصر ما قبل الإسلام-رسمها عصر التّدوين،وبقيت في ظلال العصر وأثار من ظروفه إذن وبعد كل ما تحدّثنا عنه مِنَ السّليقة إلى التّدوين،فما البلاغة اليّوم؟

-النّشأة والتّطور:يبدأ العصر الجاهلي باستقلال العدنانيين عن اليمنيين في منتصف القرن الخامس للميلاد(أي150قبل البعثة).[2] فمثلاً لو تأملنا في أدبه وتاريخه لوجدناه حافلاً بالملاحظات النّقدية التّي كانت من أهم العوامل في إيجاد البلاغة،فقد بلغت اللّغة العربية في العصر الجاهلي مستوى متقدّماً من التعبير الأدبي في الشّعر والنّثر معاً،وقد أتاح لأصحابها قوّة تمييزه فطرية بين الأساليب على اختلاف درجاتها،وأسّس لما عُرف بعد ذلك بعلم البلاغة،ويدلّ على ذلك بتلك النّماذج النّقدية الأولى التّي أوردتها أمّهات الكتب الأدبية واللّغوية.[3]

---

[1] ينظر:محمد عابد الجابري،تكوين العقل العربي،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،ط5،1991،ص:63

[2] ينظر: محمد رفعت أحمد الزنجير،مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم،الجائزة الدولية للقرآن الكريم،دبي،ط1،1428هـ 2007م،ص:32.

[3] يُنظر:السيد أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة،"المعاني،البيان،البديع"،تحقيق:يوسف الصميلي،المكتبة العصرية،بيروت،صيدَا،(د.ط) (د.س)،ص:06.

كما قد بلغ العربُ في الجاهلية مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان،وقد صوّر الذكر الحكيم ذلك في غير موضع منه من مثل:[عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤].[1]

أيّ أنَّ العرب قبل ظهور الإسلام كانوا معروفين ببلاغتهم وفصاحتهم في الشّعر والخطابة.فنجد أنّ بلغاؤهم من الخطباء والشعراء لم يكونوا يقبلون كلّ ما يَرِدُ على خواطرهم،بل ما يزالون ينقحون ون حتّى يظفروا بأعمال جيّدة،لأنّهم يصونون كلامهم عمّا يفسده أو يهجّنه،ولذلك نجد أنَّ العامل الرّئيسي الذّي ساعد في نموّ شعرهم وازدهار بلاغتهم،هي أسواقهم الكبيرة التّي عملت على نشأة هذا الذّوق وخاصّة سوق عكاظ والذّي كان يتبارى فيه الخطباء والشّعراء وكلٌّ يريد أنْ يجوز قصب السّبق لدى سامعيه دون أقرانه.[2]

بمعنى أنَّ هذه الأسواق كانت بمثابة مؤتمرات أدبية أو معارض لسانية تخرج القبيلة فيها عن عزلتها ويسود فيها جوّ من فصاحة اللّسان وفصاحة البيان وكلٌّ يريد أن يكون أفضل من منافسيه.

ومن ذلك ما يمكن أن يكون أوضحها قبّة التّحكيم التّي كانت تضرب للنابغة الذبياني في سوق عكاظ،حيث كان" الشّعراء النّاشئون يحتكمون فيها إليه،فمن نوّه به طارت شهرته في الآفاق".[3]

---

[1] سورة الرحمن، الآية:02-04.

[2] يُنظر:شوقي ضيف،البلاغة تطور وتاريخ،دار المعارف،ط9،(د.ت)،القاهرة،ص:10-11.

[3] السيد أحمد الهاشمي،جوهر البلاغة،ص06.

وقصّته مع حسّان بن ثابت معروفة حين فضّل عليه الخنساء،فردّ حسّان على النّابغة بقوله:أنا والله أشعر منك ومنها،فقال له النّابغة:حيث تقول ماذا؟قال:حيث أقول:

لَنَاجَفَنَاتِ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا.

وُلِدْنَا بَنَى العَنْقَاءِ وَابْنَى مَحْرَقٍ فَأَكْرِمْ بِنَا خالاً وأَكْرِمْ بِنَا ابْنَمَا.[1]

فردّ عليه النّابغة بأنّه" قلّل الجفان وفخر بمن ولد ولم يفخر بمن ولده،وفي رواية أخرى قال له:إنَّك قُلت الجفنات فقلّلت العدد،ولو قلت جفان لكان أكثر،وقلت:يلمعن في الضّحى،ولو قلت:يبرقن بالدُّجى لكان أبلغ في المديح،لأنَّ الضَّيف باللّيل أكثر طُروقاً،وقلت:يقطرن من نجدة دماً،فدللت على قلّة القتل،ولو قلت:يجرين لكان أكثر لنصباب الدّم،وفخرتَ بمن ولدتَ ولم تفخر بمن ولدك.[2]

وبذلك نجد أنَّ هذه الرّواية سواء صحّت،أم لا فإنّها على أيّة حال تعطينا صورة عمّا كان يجري بين الشعراء في ذاك العصر من مساجلات أدبية ونقدية كانت نواة لما ظهر بعد من الاصطلاحات البلاغية المعروفة.فشعراء الجاهلية كان يراجع بعضهم بعضاً،كما وأنّهم كانوا يبدون في ثنايا مراجعاتهم بعض الآراء في المعاني والألفاظ.

كما يمكن أيضاً تعليل ظاهرة الإيجاز في كلام العرب من خلال نمط المعروفة السّائدة في عصر ما قبل الإسلام،وذلك أنّهم كانوا يعتمدون على السّماع والحفظ في تلقي معارفهم فكانوا يتلقون ما يتلقونه بطريق الشّفاه.وأنَّ أبرز ما يلفت لغة العرب في الجاهلية،أنّها لغة إيجاز،فيحذفون الحرف

[1] حمادي صمود،التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوّره إلى القرن السادس،منشورات الجامعة التونسية،تونس،ط1 1981،ص:26.

[2] يُنظر:المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

والكلمة والجملة،إذا كان الكلام مفهوماً بدونها وظهر الدّليل عليها،فيأنسون إلى طبيعتهم في الاقتصار ويشيرون إلى المعنى إشارة معبّرة موحية وتغني عن الكلام الطّويل والسّرد المملول.[1]

أي أنّ الإيجاز هو من الفضائل المشهورة في لغة العرب ولكن لم يكونوا يستعملونه في جميع المواقف،بل المواقف التّي تستدعي الإيجاز فحسب.

وخلاصة هذا يتمثل في أنَّ التّصوير البياني في العصر الجاهلي،كان يدلّ على أنَّ الشّعراء كانوا يقفون عند اختيار الألفاظ والمعاني والصّور.كما كانوا يسقون أحياناً ملاحظات لاريب في أصل الملاحظات البيانيّة في بلاغتنا العربية،ولذلك كان العرب في الجاهلية قد بلغوا من حسن البيان مبلغاً رفيعاً جعلهم يميّزون بين صوّر الكلام.

لنا إلى عصر صدر الإسلام،فنجد أنَّه يبتدئ مع ظهور الإسلام إلى نهاية سنة(40هـ) حيث قتل آخر خلفاء الرّاشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه،في رمضان من تلك السنة،وفي هذا العصر نجد أنَّه لا يوجد اختلاف بينه وبين العصر الجاهلي.[2]

ولذلك أرسل الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً و بشيراً وأيّده بمعجزة بيانية كبرى في القرآن الكريم،فأخرس بفصاحته فصحاء العرب،وأذهل ببلاغته فرسان البلاغة.ومن أمثلة ذلك ما روي عن النّبي صلى الله عليه وسلّم،أنَّ العبّاس سأله،فقال:"يا رسول الله:فيم الجمال؟فقال رسول الله صلّى

[1] ينظر: محمد كريم الكوّاز،البلاغة،النقد(المصطلح والنشأة والتجديد) ،ص:118.

[2] محمد رفعت أحمد الزنجير، مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم،ص:38

الله عليه وسلّم:في اللّسان".[1] ،أي أنَّ الرسول صلّى الله عليه وسلم،كان يقصد به البيان،وحسن الكلام وبلاغته وجزالة ألفاظه.

كما نجد أيضاً الوليد بن المُغيرة قد أُخِذَ بالقرآن الكريم لدى سماعه،فقال لأبي جهل:" ما فيكم رجلٌ أعلم بالأشعار منّي،ولا أعلم برجزه ولا بقصيده منّي،ولا بأشعار الجنّ،والله ما يشبه الذّي يقول شيئاً من هذا،والله إنَّ لقوله الذّي يقول حلاوة،وإنَّ عليه لطلاوة،وإنَّه لمثمر أعلاه مفدق أسفله،وإنَّه ليعلو ما يُعْلَى،وإنَّه ليحطّم ما تحته".[2]

وتُعبِّر هذه القصّة عن صورة صادقة عمّا كان يفعله القرآن الكريم في نفوس العرب من بيان وبلاغة،حتّى ظنّوا أنّ ما يقال إمّا سحرٌ أو كهانة عند ما لم يستطيعُوا مجاراته والإتيان بمثله.

وبما أنَّ القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين،فقد توّج بفصاحة العرب وبرهن على بلاغتهم التّي لا تُبارى،وعلى هذا الأساس تحدّى القرآن العرب أن يأتوا بمثله،ولم يتحدّ غيرهم.فنجد أنَّ البلاغة عند علي أبي طالب"رضي الله عنه"،بمعنى الكشف عن المعنى وإيضاح الغامض وسهولة العبارة،حيث يقول:" البلاغة إيضاح الملتبسات،وكشف عوار الجهالات،بأسهل ما يكون من العبارات"[3]،بمعنى أنَّ العرب في صدر الإسلام كا ،ا يوجزون في قولهم،كما أنّهم كانوا يبتعدون عن الألفاظ الغريبة المعقّدة

[1] محمد منير الخليل ندا،التّجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث،رسالة دكتوراه(مخطوط)،إشراف:علي العماري،جامعة الملك الملك عبد العزيز، مكة مكرمة،(د.ت)،ص:14.

[2] ينظر:السّيد أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة،ص:07.

[3] يُنظر:محمد كريم الكوّاز،البلاغة والنقد،ص140.

التّي لا يفهمها النّاس،ولذلك نجد أنّ القرآن الكريم جاء على طريقة العرب في كلامهم وما ساروا عليه في أساليبهم.

ونجد في أخبار الرّسول "صلى الله عليه وسلّم" أنّه قد كان يُعنى أَشَدَّ العناية بتخير لفظه،وفي ذلك يقول:"لا يُقولنّ أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل:لقست نفسي"[1]،أي حتّى لا يضيف المسلم الخبث إلى نفسه.

وربّما كان ممّا يدلّ على شيوع دقَة الحسّ حينئذٍ ما يُرْوى عن أبي بكر من أنّه عرض لرجل معه ثوبٌ،" فقال له:أتبيع الثّوب؟فأجابه:لا عفاك الله..."وتأذّى أبو بكر ممّا يوهمه ظاهر اللّفظ،إذ قد يظنَّ أنَّ النّفي مسلطٌ على الدّعاء،"فقال له:لقد علمتكم لو كنتم تعلمون،قُلْ:لا وعفاك الله"[2]،ومن هذا الحوار نجد أنَّ الرجل وصل لم يفصل في الكلام وبذلك أخطأ وقد عَلِمَ أبو بكر أنَّ الرّجل أخطأ،فعلّمه مواضع التّي يجب فيها وصل الكلام،وفصله.

كما اعتمد العرب في صدر الإسلام أيضاً على الإيجاز،وابن رشيق يسوق لنا قول الرسول الكريم،في بيان منزلة الإيجاز:"نضّر الله وجه رجلٍ أوجز في كلامه،واقتصر على حاجته"[3]،فنجد أنّ الإيجاز لم يقتصر على العصر الجاهلي فقط بل لمس حتّى صدر الإسلام فكانوا يجيزون تارةً ويطنبون أحياناً أخرى.

---

[1] يُنظر:المرجع السابق،الصفحة نفسها.

[2] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[3] يُنظر:المرجع نفسه،ص41.

وإلى جانب ما ذكرناه سابقاً،نجد أيضاً الشّعر الذّي كان إلى جانب الحجّة والسّيف من أمضى الأسلحة في النّيل من الأعداء المعاندين،وقد أخذ يشقّ لنفسه طريقاً جديداً،فيصبح لسان الدّعوة الجديدة،يشيد بانتصارها ويشيّع ا في تطهير العقيدة،وفي إصلاح المجتمع،والعمل للدنيا والآخرة.وقد كان الرّسول "صلّى الله عليه وسلّم" من المؤيدين للشّعر والشّعراء،فكان يشجّعهم ويَعُدُّ قولهم جهاداً في سبيل الدّين،وأنَّ فِعْلَ شعرهم لا قلّ في الأعداء،عن فعل السّيوف التّي يحملها المحاربون في رقاب أعدائهم المشركين.فالنبي "صلّى الله عليه وسلّم" عندما سمع الشّعر في مسجده وعلى منبره،قال لحسّان بن ثابت:"هج قريشاً ومعك روح القُدس"[1]،وهو يعني الشّعر الذّي يدعو إلى الحقّ أو ينشر فضيلة أو يدفع ظلماً،فذلك لا شبهة في جوازه.

وأمَّا في **قوله تعالى**:[وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ و أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ][2]،فهو ينصرف إلى الكفَّار الذّين كذبوا وفسقوا بالحق بدليل أنّه استثنى المؤمنين الصّالحين الذّين يذكرون الله،ويستنصرون بالشّعر على أعدائهم،وذلك في **قوله تعالى**[إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ][3].

[1] يُنظر:المرجع السابق،ص:142-145.

[2] الشعراء، الآية:226.

[3] الشعراء، الآية:227.

ولهذا كان النبي "صلى الله عليه وسلّم" من المؤيدين للشّعر الذّي يخدم الإسلام،فهو القائل:"إنَّ من البيان لسحرا،وإنَّ من الشّعر لحكمة"[1]،أي البيان كانت له مكانة عالية في نفوس العرب وكان أجلَّ وأعظم من أنْ يخونوه فلم يتفوَّهُ بكلمة زور وبهتان،وذلك حتّى يجعلهم الله حكّاماً على البيان،وعلى أساس هذا نجد أنَّ الرسول "صلى الله عليه وسلّم" قد تأثّر بالبيان كما تأثّر بالشّعر الذّي يخدم الإسلام وذلك بما يحمله من حكمة.

وبذلك ننتهي إلى أنَّ عصر الإسلام شهد تطوّراً كبيراً بسبب نزول القرآن الكريم أولاً،وبسبب الحديث النبوي ثانياً،وبسبب نمو الذخيرة اللّغوية والأدبية في تلك الفترة،وقد كان لذلك أثر كبير فيما بعد في بلورة النظرية البلاغية والنقدية عند العرب.

وإذا ما عرجنا إلى الحديث عن العصر الأموي،نجد أنَّ هذا العصر يبتدِئ من سنة(41هـ)ويمتد إلى سنة(132هـ)،وهو عصر الفتوحات وقيّام الحضارات العربية الإسلاميّة[2].فنجد أنَّ هذه الفترة من الفتوحات الإسلامية كثُرت،فامتزج العرب بغيرهم من الأعاجم،ودعت الحال إلى استعمال ضروب من الكتابة وفنون الخطابة،فساروا بها على النّهج والتّقويم بجميع ألوانها من سيّاسة حفليَّة ووعظيّة،فنلاحظ أنّها تزدهر ازدهاراً عظيماً.أمّا في السّياسة فيشتهر"زيّادة والحجّاج"،وفي زيّاد يقول الشّعبي:" ما سمعت متكلّما على منبر قط تكلّم فأحسن،إلاّ أحببت أن يسكت خوفاً من أن يسيء إلاّ زيَّاداً فإنّه كلّما

[1] محمد كريم الكواز،البلاغة والنقد،ص:146.

[2] محمد رفعت أحمد الزنجير،مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم،ص47.

أكثر كان أجود كلاماً"[1]،بمعنى أنَّ زيّاد كان عندما يتكلّم لا يخطئ في قوله فقد كان بليغاً فصيحاً لا يتخلّل كلامه شائبة ولا ألفاظ غريبة.

ومن خطباء الشّيعة "زيد بن الحسين بن علي"،والذّي كان لِسناً جدَلاً يجذب النَّاس بحلاوة لسانه وسهولة منطقه وعذوبته.فمن خطباء المحافل "سَحْبَان وائل"وقد خطبه بين يدي معاوية بخطبة باهرةٍ سُمّيت الشوهاء[2].كما وقد قامت في هذا العصر سوق المِرْبَدْ في البصرة وسوق الكُناسة في الكوفة مقام سوق عكاظ في الجاهلية،بل تحولا إلى ما يشبه مسرحين كبيرين يغدو عليهما شعراء البلدتين ومن يفِدُ عليهما من البادية،لينشدوا النّاس خير ما صاغوه من الأشعار.

والحقّ أنَّ الملاحظات البيانيّة كثرت في هذا العصر،وهي كثرةُ عملت فيها بواعث كثيرة،بحيث رقّيت حياتهم العقلية واستقرّوا في المدن والأمصار وأخذوا يتجادلون في جميع شؤونهم فكان هناك وارج والشيعة والزيديون والأمويون ونما العقل نُمُواً سريعاً،فكان طبيعيًّا أن ينمو النّظر في بلاغة الكلام وأن تكثر الملاحظات المتّصلة بحسن البيان لا في مجال الخطابة والخطباء فحسب،بل أيضًا في مجال الشّعر والشّعراء.[3]

وهذا يعني أنَّ الملاحظات كانت متّصلة بحسن البيان،وكلّ هذه الطّوائف التّي ذكرناها سابقاً هي التّي كانت وراء البيان العربي من شعر ونثر،ممّا أدّى إلى ازدهار البلاغة في هذا العصر.

---

[1] شوقي ضيف،البلاغة العربية تطور وتاريخ،ص:14.

[2] يُنظر:أحمد مدّاح،مذكّرة تخرج.تنظيم البلاغي عند ابن قتيبة(ت276هـ)،من خلال كتابة تأويل مشكل القرآن(مخطوط)،تحت إشراف قدور إبراهيم،2011-2012،ص:06.

[3] شوقي ضيف،البلاغة تطور وتاريخ،ص:15-16.

وفي نهاية المطاف بعد المرور على المراحل الثلاثة السّابقة نصل إل العصر العبّاسي،إذ نلحظ أنَّ البلاغة في هذه الفترة شهدت تطوراً ملحوظاً،وقد ابتدئ هذا العصر من سنة(132هـ)وامتدّ إلى سقوط بغداد سنة(656هـ)على يد التّتار[1].

ويعدّ العصر العبّاسي بحق عصر النّهضة الثّقافية والعلمية في تاريخ الإسلام حتّى سُمِّي بالعصر الذهبي-وما كان يميّز هذا العصر هو التّوسع في الملاحظات البيانيّة وتطوّرها بحكم التّعمق في الحضارة،وتداخل الثّقافات الأجنبية مع الثّقافة العربية،وإتقان الموالي للعربية إتقاناً جعلهم يكثرون من ملاحظاتهم على خصائصها البلاغية.وكذلك بين أساليبهم الموّلّدة والأساليب الموروثة نافذين إلى ما سموهُ البديع،وهو ضروب من التّجديدات التّصويرية والمحسنات اللّفظية والمعنوية.[2]

وفي بداية هذا العصر تظهر كذلك بوادر التّأليف بعد عصور الرّواية،وفيه تتّسع الملاحظات البيانيّة،وقد أعد لذلك أسباب مختلفة منها ما يعود إلى تطّور النثر والشّعر مع تطوّر الحياة العقلية والحضارية،ومنها ما يعود إلى نشوء طائفتين من المعلّمين،عُنيت إحداهما باللّغة والشّعر،وعُنيت الأخر بالخطابة والمُناظرة وإحكام الأدّلة ودقّة التّعبير وروعته،وكان ذلك تحوّلاً كبيراً في الفكر العربي،إذ اصطبغ بثقافات أجنبية كثيرة[3].

وعلى هذا النّحو كان الشّعراء والكُتَابْ يحاولون بكلّ ما في وسعهم أن يذلّلوا المادّة الأدبية لتحمل عصرهم ونفوسهم وأحاسيسهم وعقولهم وأخيلتهم.ولم يكن الشّعراء والكُتَّابْ وحدهم الذّين

---

[1] محمد رفعت أحمد الزنجير،مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن ،ص:52.

[2] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[3] يُنظر:شوقي ضيف،البلاغة تطّور وتاريخ،ص19-20.

مضوا يدرسون وجوه البيان والبلاغة في فنّهم،فقد كان يشركهم في ذلك طائفتان من المعلمين أخذوا في الظّهور مع آواخر القرن الأوّل للهجرة وأوائل الثّاني،وهما طائفة المتكلّمين الذّين كانوا يَعْنَونَ بتعليم الشّباب فن الخطابة والمناظرة،ثمّ طائفة اللّغويين والنّحويين وكانوا يحترفون تعليم اللّغة ومقاييسها في الاشتقاق والإعراب،ومن يرجع إلى كتّاب البديع"لابن المعتز"يجده يذكر الخليل بن أحمد في صدور حديثه عن التّجنيس والمطابقة،يقول في التّجنيس:"قال الخليل:الجنس لكل ضرب من النّاس والطّير والعروض والنّحو،ومنه تكون الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها"[1]،ولهذا نجد أنَّ الخليل فصّل في التّجنيس،وذَكَرَ حُرُوفَه ومعانيه وبيَّنَ مواضعه.

واتّسعت المعارف في العصر العبّاسي وتطوّر كل من الشّعر والنّثر تطوّراً كبيراً وبرزت دوائر الاختصاص في شتّى المعارف،وصار هناك اللغويون والكُتَّابْ والمُتكلّمون،ولكلّ منهم باع طويل في ميادين البلاغة وفنونها،دون تحديد واضح لأبوابها وفصولها وعلومها.فالأصمعي(ت217)لاحظ أنَّ من ألفاظ العرب،ألفاظٌ تتنافر وإن كانت مجموعة في بيت شعر مثل:

وقَبْرُ حَرْبٍ بمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبُ قَبْرُ.[2]

فنجد أنَّ هذا البيت الشّعري متنافر الكلمات فيه ثقل على الأسماع،ولهذا السبب دفع البلاغيين على غير شعور منهم إلى نفور هذه الكلمات وإن كانوا قد عَزَوْهُ إلى التّنافر وحده.

[1] يُنظر: المرجع السابق،ص28-29.

[2] السيد أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة،ص09.

أمّا الكُتَّاب فقد كانوا مواضع تقدير الجاحظ(255هـ)،حين قال "أمّا أنا فلم أَرَ قطُّ أمثل طريقة في البلاغة من الكُتَّابْ فإنّهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعِّراً وحشيًّا ولا ساقطًا سوقيًّا".[1]

أي أنَّ الكتّاب والأدباء كانوا يتخيّرون اللّفظ الحسن،حيث كانوا يبتعدون عن الألفاظ الوعرة الغريبة،فيختارون التّي تخلص إلى المعاني الطريفة.

بالإضافة إلى ابن المقفع(المتوفى 143هـ)والذّي"يسلك في كتَاب الدواوين" وقد سُئِل عن البلاغة وتفسيرها فجعلها أقسامًا،وقسَم الكلام أنواعًا ثم قال:"الإيجاز هو البلاغة"[2]،بمعنى أنَّ البلاغة هي أداءُ المقصور من الكلام بأقلّ من العبارات؛أي الاختصار في بعض المواضع التّي يجب فيها الاختصار.

أمّا المتكلّمون فيكفي أن نذكر عنهم صحيفة"بشر بن المعتز"(ت 215هـ)والتّي كتبها على أثر مروره"إبراهيم بن جبلة مخزمة السكوني الخطيب"،وهو يُعلِّم فتيانهم الخطابة،فوقف بشر فظن إبراهيم إنَّما وقف ليستفيد أو ليكون رجلاً من النّظارة،فقال بشرًا:اضربوا"عمّا قال صفحًا،واطووا عنه كشحًا،ثمّ دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنقيحه"[3]،ومن خلال هذه الصحيفة نستنبط أنَّ بشر يسوي في المنزلة بين اللّفظ والمعنى،كما دعا إلى مجانبة التّكلف والتّعقيد ومراعاة مقتضى الحال وهي من أهمّ ما تدور حوله الدّراسات البيانية.

---

[1] الجاحظ،البيان والتبين:ترجمة عبد السلام هارون،ج1،القاهرة،سنة(1376هـ-1948م)،ص:137.

[2] المصدر نفسه،ص:116.

[3] المصدر نفسه،ص135.

يمكننا القول أنَّ علم البلاغة تطَورَ تطوّراً كبيراً في العصر العبّاسي،إذ لم تخل فترة زمنية من فتراته دون وجود باحث مجتهد طوَّرَ هذا العلم عمّا كان عند الباحث الذّي سبقه تطوّراً واكب تطورات الأدب في ذاك العصر العملاق،ولم يجهد هذا التّطور إلاّ في أواخر العصر العباسي،ومع بداية عصر الانحدار.

الفصل الأول

البلاغة العربية وعلاقتها بالعلوم الأ خرى

تمهيد:

تعدّ البلاغة العربية من أسمى علوم اللّغة وأشرفها،فالمرتبة الدّنيا من الكلام هي التّي تبدأ بالألفاظ لتدُّل على معانيها المحدّدة، ثمّ تندرج لتصل إلى الكلمة الفصيحة والعبارة البليغة،ولقد بلغت البلاغة العربية في العصور القديمة ذروتها بالرغم من وجود دراسات وقواعد تنظم هذه البلاغة،وتَوَاصَلَ تطوّر البلاغة العربية في عهد الإسلام فكان القرآن الكريم قمّة في البلاغة،وتحدّى به الله سبحانه وتعالى بلاغة العرب وهذا ما عُرِفَ بالإعجاز البلاغي.وقد كان علم البلاغة عبارة عن كتلة واحدة،أي لم يعرف التّقسيمات المعروفة من "بيان ومعاني وبديع"حتّى ساهمت مجهودات البلاغيين في إحداث هذه سيمات،وقد تعلّق بهذا العلم الكثير من الباحثين سواء الأدباء أو علماء اللّغة وخاصة الكُتَّابْ الذين يتميّزون بالذّوق السّليم والحسّ المرهف وقد ذهبوا بالبلاغة بأعمالهم وإبداعاتهم نحو التّقدم والازدهار،حيث أخرجوها في أجمل صورة وأبهى حلّة.

المبحث الأول:مفهوم البلاغة

المطلب الأوّل:البلاغة "لغةً"

البلاغة في اللغة مأخوذة من قولهم:"بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلغتها غيري،والبلاغة هي الوصول والانتهاء،يقال بلغ فلان مراده،إذ وصل إليه،وبلغ الرّكب المدينة-إذ انتهى إليها-ومبلغ الشّيء منتهاه.وأبلغه هو إبلاغاً،وبلّغه تبليغاً.ومنه قول أبي قيس بن الأسلت السلمى:

قَالَتْ وَلَمْ تَقْصِدْ لِقِيْلِ الخَنَى مَهْلاً فَقَدْ أَبْلَغَتْ أَسْمَاعِيْ[1].

أي قد انتهيت فيه وأنعمت،وتبلّغ بالشيء وصل إلى مراده،وبَلَغَ مَبْلَغَ فلان ومبلغته.

وقد جاء في لسان العرب لابن منظور مادّة"بَلَغَ"،في قوله تعالى:[وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ]سورة النور الآية:59.،أي الوصول إلى سن البلوغ.

إذن فالبلاغة عند أهل اللّغة هي حسن الكلام مع فصاحته وأدائه لغاية المعنى المُراد.

وفي حديث الاستقصاء:"واجعل ما أنزلت لنا قوّة وبَلاَغاً إلى حين"وأيضًا ما يتبلَّغُ به ويتوّصل به إلى الشّيء المطلوب،والبلاغ ما بلغك،والبلاغ،الكتابة،والإبلاغ:الإيصال،وكذلك التّبليغ،والاسم منه البلاغ.[2]

---

[1] السيد أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة(في المعاني والبيان والبديع)،ضبط وتدقيق وتوثيق،يوسف الصميلي،بيروت،صيدا(د.ت-د.ط-د.ت)،ص:49.

[2] ابن منظور،لسان العرب،دار المعارف،القاهرة،مصر،دون تاريخ،مادة" بلغَ"

ويُقال أيضاً: بَلُغَ الرّجل إِذَا صار بليغاً.وفي اللّسان:"رجل بليغ،حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه"[1].

ويقال أيضاً: أبْلَغْتُ في الكلام إذا أتيت بالبلاغة فيه،والبلاغة من صفة الكلام المُتكلّم،وتسميتنا المُتَكَلِّمَ بأنّه بليغ نوع من التّوسع، وحقيقة أنّ كلامه بليغ،فحذف الموصوف وأقيمت الصّفة مقامه،كما يقول:فلانٌ رجلٌ محكم،وتعني أنّ أفعاله محكمة،**قال الله تعالى:**[**حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ**][2].فجعل البلاغة صفة محكمة ولم يجعلها من صفة الحكيم،إلاّ أنَّ كثرة الاستعمال جعلت تسمية المتكلّم بأنّه بليغ كالحقيقة،كما أنَّ كثرة الاستعمال جعلت تسمية المزادة رواية كالحقيقة،وكان الرواية في الأصل حامل المزادة وهو البعير وما يجري مجراه ولهذا سُمِّي حامل الشّعر رواية[3].

كل هذه التعريفات مع مالها من فوائد،ومع ما فيها من صحة القصد فهي تنتهي إلى أنّها هي البلوغ والإيصال والانتهاء وكلّ ما يتبلّغ به.

---

[1] المرجع نفسه،مادة "بلغ".

[2] سورة القمر،الآية:05.

[3] ابن رشيق القيرواني العمدة،ج1،دار الجيل،ط5، 1401هـ،ص:213.

المطلب الثاني:البلاغة "اصطلاحاً"

وقد جاء في مؤلف القزويني أنَّه عرف البلاغة بقوله:"البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته.فالبلاغة راجعة إلى اللّفظ باعتبار إفادة المعنى بالتّركيب"[1]،فالبلاغة إذن تقوم على دعائم:

أُولها:اختيار اللّفظة

ثانيها:حسن التّركيب وصحتّه.

ثالثها:اختيار الأسلوب الذّي يصلح للمخاطبين،مع حسن الابتداء وحسن الانتهاء.وبقدر ما يتهيّأ من هذه الدّعائم،يكون الكلام مؤثّراً في النّفوس،والتّأثير هو الدّعامة الرّابعة من دعائم البلاغة[2].

وهي كذلك وصفٌ للمُتكلّم فقط دون الكلمة لعدم سماعه، وينقسم إلى:

***بلاغة الكلام**:البلاغة في الكلام مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة ألفاظه،بمعنى ما يستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطب من المُتكلّم على وجه الخصوص.

***بلاغة المُتكلّم**: ة المتَكلّم هي ملكة النّفس يقتدر صاحبها بها على تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضى الحال مع فصاحته في أيِّ معنى قَصَدَهُ[3].

---

[1] محمد كريم الكواز،البلاغة والنقد(المصطلح والنّشأة والتجديد)،مؤسسة الانتشار العربي،بيروت،(لبنان)،ط1،سنة2006 ص:14.

[2] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[3] السيد أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة،ص40.

بمعنى أنَّ البلاغة هي حسن اختيار الألفاظ مع التعبير عنها بأسلوب جميل وملائم للمعنى؛أي مطابقة المقال لمقتضى الحال مع فصاحته.

إذن،فالبلاغة لابدّ فيها من ذوق وذكاء،بحيث يدرك المُتكلّم متى يتكلّم،ومتى ينتهي،فُربَّ كلام يكون جميلاً في نفسه،لكنّه لم تُرَاعِ فيه هذه الظّروف فتكون نتائجه غير متوقّعة.فقد أصبحت المطابقة لمقتضى الحال معياراً للبلاغة،فهو يقيس درجة البلاغة في الكلام،ولذلك كانت أسَدُّ عبارات الأدباء في حدِّ البلاغة،وأوفاها بالغرض.فقولهم:"البلاغة هي التّعبير عن المعنى الصّحيح لما طابقه من اللّفظ الرّائق من غير مزيد على المقصد،ولا انتقاص عنه في البيان،فعلى هذا كلّما ازداد الكلام في مطابقة المعنى وشرف الألفاظ ورونق المعاني والتّجنب عن الرّكيك المستغث،كانت بلاغته أزيد"[1]،وهذا يعني أنّ البلاغة هي تطابق اللّفظ ومعناه مع الابتعاد عن الألفاظ الغريبة غير المستعملة.

ولو فتشنا في تراثنا العربي العريق،لوجدنا أنَّ للبلاغة مفاهيم متعدّدة ومختلفة المشارب،فإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجد أنَّ لفظة"بليغ"جاءت في قوله:"فَاعْرِضْ عَنْهُمْ،وعِظْهُمْ،وَقُلْ لَهُمْ في أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بليغاً"[2].

وكذلك راغب الأصفهاني يقول في تفسيرها:"البلاغة تقال غلى وجهين:

أحدهما:أن يكون بذاته بليغاً،وذلك بأن يجمع ثلاثة أصناف:صواباً في موضوع لغته،وطبقاً للمعنى المقصود،وصدقاً في نفسه.

[1] يُنظر:محمد كريم الكوّاز،البلاغة والنقد،ص14.

[2] سورة النساء،الآية:63.

الثاني:أن يكون بليغاً باعتبار القائل والمقول له،وهو أن يقصد القائل أمراً فيردَّه على وجهه حقيق أن يقبله المقول له،وهو يضحّ حمله على معنيين.[1]

أمّا في الحديث فنجد أنّ مفهوم البلاغة ورد في قول الرّسول "صلى الله عليه وسلّم":"إنَّ الله يبغض البليغ الذّي يتخلّل بلسانه"،[2]وجاء أنّه عاب فيه عن المتكلّفين والذّم لهم ألزم،وهذا مالا يستجيزُهُ أهل الأدب من خطباء أهل المدَر.

لكن إذا ذهبنا بمفهوم البلاغة إلى تراثنا العربي القديم،لو جدنا أنَّ هناك الكثير من الآراء التّي تدور حولها،من بينها:ما قيل عن خالد صفوان (ت115هـ):أنَّ "أبلغ الكلام ما يحتاج إلى الكلام وأحسنه مالم يكن بالبدوي المغرب،ولا القروي المَخْدَج،الذّي صحّت مبانيه،وحسنت معانيه،ودار على ألسن القائلين،وخفّ على أذان السّامعين،ويزداد حسناً على مرّ السنين بتجلّية الرّواة،وتنقية السّراة،والكتاب المستحق اسم الكتابة،والبليغ المحكوم له بالبلاغة،من إذا حاول صنعه كتاب سالت ه عيون الكلام من ينابيعها،وظهرت معادنها وبدرت من مواطنها،بغير استكراه ولا اغتصاب"،[3] وهو لك الإشارة إلى بعض الخصائص الفنّية التّي يسمو بها الأثر الأدبي دون إكراه أو اغتصاب.

[1] ينظر:محمد كريم الكوّاز،البلاغة والنَّقد،ص:14.

[2] الجاحظ،البيان والتبين،ترجمة:عبد السلام هارون،ج1،القاهرة سنة(1376هـ-1984م)،ص:271.

[3] حامد صالح خلف الربيعي،مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء،سلسلة البحوث اللغة العربية،جامعة أم القرى،1416هـ 1996م،ص:47.

وفي كتاب البيان والتّبيين وجدنا الكثير من التّعريفات للبلاغة عند العرب وغيرهم،"فقد قيل للفارسي:ما البلاغة؟قال:معرفة الفصل من الوصل.وقيل لليوناني:ما البلاغة؟قال:حسن الاقتضاب عند البداهة،والغزارة يوم الإطالة.وقيل للهندي:ما البلاغة؟قال:وضوح الدّلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة"[1].

وقال بعض أهل الهند:" جماع أهل البلاغة: البصر بالحجّة،والمعرفة بمواضع الفرصة"[2]،نجد أنَّ كل هذه التّعاريف اشتملت على مفهوم واحد هو وضوح الدّلالة ومعرفة مواضع اللّفظ وعلاقته بالمعنى.

أمّا المبرّد(ت285هـ) فهو الأخر ذكر في رسالته الصّغيرة سمّاها "البلاغة"أجاب فيها عن رسالة أحمد بن الواثق.فقال:"إنَّ حقّ البلاغة إحاطة القول بالمعنى واختيار الكلام وحسن النّظم حتّى تكون الكلمة مقاربة أختها ومعاضدة شكلها.وأنَّ يقرب بها البعيد،ويحذف منها الفضول"[3].

ونجد أنَّ مصطلح البلاغة في هذه الرّسالة لا يعني العلم المعروف،وإنّما هو تحديد لبعض معانيها من حسن النّظم ورونق الكلمة،وهي كذلك تقريب المعنى البعيد وحذف حوشي الكلام.

[1] الجاحظ،البيان والتبين،ج1،ص88.

[2] المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[3] أحمد مطلوب،أساليب بلاغية،"الفصاحة،البلاغة،المعاني"،وكالة المطبوعات،جامعة بغداد،ط1،سنة1979-1980،ص:55.

أمّا أبو هلال العسكري(ت395هـ)،والذّي حدّد تعريفها بقوله:"البلاغة كلّ ما تبلغ به قلب السّامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك،مع صورة مقبولة ومعرضٍ حسن"[1]،أي أنَّ البلاغة عنده هي من صفة الكلام لا من صفة المُتكلّم مع قبوله لها.

وكذلك قول الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ):"البلاغة ماقرب طرفاه،وبَعُدَ منتهاه".وقال:"البلاغة كلمة تكشف عن البقيّة"[2]،ومن خلال هذين القولين نجد أنَّ البلاغة بمعناها،هي الإيضاح والكشف،وكذلك تأدية المعنى القريب.

وفي تعريف قديم على لسان أحد العرب أمام معاوية بن أبي سفيان،حين سأله معاوية عن البلاغة في قومه،"فقال له:شيءٌ تجيش به صدورنا،فتقذفه على صدورنا،ثمّ سأله عن ماهية ذلك الشّيء.فأجابه:الإيجاز.فسأله عن الإيجاز،فقال:أنَّ تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تُخطئ"[3].

بمعنى أنَّ الثّقافة العربية القديمة كانت تقوم على المشافهة والمناظرة،ولم تتعمق فيها أسس التّفكير الكتابي،فقد اتّجهت دلالة البلاغة فيها إلى الكلام،لا إلى الكتابة،أي أنَّ العرب كانت أمّه مشافهة لا أمّة كتابة.

وحينما قسّم السّكاكي(ت626هـ)البلاغة ووضع معالمها في كتابة"مفتاح العلوم"حيث عرّفها تعريفاً دقيقاً،وقال:"هي بلوغ المُتَكَلّم في تأدية لمعاني حدًّا له اختصاص بتوفية خواص التّراكيب

[1] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[2] حامد صالح حلف الربيعي،مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء،ص:48.

[3] محمد كريم الكوّاز،البلاغة والنقد(المصطلح والنشأة والتجديد)،ص12.

حقّها،وإيراد لتّشبيه والمجاز والكناية على وجهها"[1] هذا التّعريف نجد أنَّ السّكاكي أدخل على البلاغة علمان آخران،وهما علم المعاني وعلم البيان،وجعل البديع وجه من وجوه تحسين وتنميق الكلام.

وفي الأخير،يظلّ مصطلح"البلاغة"جامعاً لكلّ المصطلحات والتعريفات التّي تطرقنا إليها سابقاً،فنجد أنَّ البلاغة تهتم باللّفظ والمعنى،فهي همّها الابتعاد عن الخطأ في تأدية المعنى وكذلك تعريف الفصيح من غيره،وبالتالي فالبلاغة هي ما يُنعت بها الكلام والمتكلم فقط.

أمّا مفهوم البلاغة عند الغربيين فنجد أنّها قد تعدّدت مصطلحاتها،فمنهم ما يتّفق على أنّها ما وجد عند العرب،ومنهم من اتّجه بها اتجاهاً مُغَايراً.فالنّاظر إلى أهمّ التّعريفات التّي قُدّمت للبلاغة سَيُدرك مدى ما عرفته من تطوّر،وخاصّة منذ مطلع القرن العشرين،وهنا يرى "د.صلاح فضل"أنَّ من أهمّ التّعريفات التّي أعطيت للبلاغة في الفترة الحديثة تلك التّحديدات الثلاثة التّي قدّمها"يوري لوتمان"" اعتبرها في البداية ذات دلالة لغويّة تتمثّل في كونها مجموعة من قواعد تركيب الخطاب على مستوى الذّي يتجاوز الجملة،وثانياً كونها علمًا يدرس الدّلالة الشّعرية،وأنماط المعاني البلاغية المنقولة على غرار ما تجده في بلاغة الأشكال والصُّور.

أمّا التّحديد الثالث فاعتبرها فيه علماً يدرس"شعرية النّص"الاجتماعية باعتبارها تكوينات علاميَّة متوحدّة،ومعنى هذا أنَّ البلاغة المعاصرة عليها أن تندرج في المفاهيم العلمية الحديثة وتكتسب آلياتها التّحليلية،ولا مفرّ من أن يكون مجالها هو النّصوص،وعندئذٍ لا تلبث أن تدخل في نطاق علم

[1] المرجع نفسه،ص14.

النّص"[1]،وهذا يؤدّي إلى أنَّ البلاغة الجديدة هي تلك البلاغة التّي تتناول حيثيات النّص والخطاب،وذلك بفضل المناهج العلمية،من أجل إدراك درجة الدّقة والصّرامة في النّصوص الحديثة.

فعندما يتصفح القارئ معاجم البلاغة الأسلوبية الغربية يجد كلمة"ريطوريةrhetorique"تدلّ على معنيين أساسيين،ففي معجم الألفاظ الأسلوبية"ل:جون مازاليغا"jean- Mazalier و"جورج موليني"j.Molinie" من هذه الرّواية نجد أنّها مبحث قديم يهتّم بفن الإقناع في مكوّناته وتقنياته لاستنباط الحجج ومعالجتها"،ولهذا نجد أنَّ البلاغة اليوم في ارتباط مع"ديكرو"o.ducrot" ما مجموعة من صوّر التّعبير منفصلة عن نوع الخطاب الذّي استعملت فيه"[2]

وتحتوي البلاغة في التّقليد الغربي معنيين أساسيين هما:

أولهما: يهتمّ بالمعنى الحجاجي الإقناعي الذّي يصبَّ في التّداولية الحديثة.

ثانيهما: تهتم بالمعنى الشّعري الذّي يصبّ في الأسلوبية[3].

فنحد أنَّ معظمهم يُقرُّ بوراثة البلاغة القديمة وتمثيلها "فتدوروف"todorof "يرى أنّ الأسلوبية هي الوريث الشّعري للبلاغة،ومن جهة أُخرى يُصرح"بيرلمان"H.perlMan "ومن معه إلى الوجهة الصّحيحة لحجاج ناجح متمثلة في بلاغة أرسطو إلى جانب"فان ديك والذّي يُعتَبر رائداً

[1] محمد سالم محمد الأمين الطلبة،الحِجاج في البلاغة المعاصرة،دار الكتاب الجديدة المتحدة،ط1، سنة2008،ص:10.

[2] أيت أعرب صونية وعنكوش ليلة،البلاغة الجديدة وتحليل الخطاب"دراسة نقدية لإسهامات محمد العمري"،شهادة الماستر تحت إشراف:محمد الزين الحيلي،جامعة عبد الرحمان ميرة،بجاية،ص10.

[3] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

لعلم النّص،هذا الأخير اعتبره ممثلاً عصرياً البلاغة ،فهي على حسب حديثه،فهي على حسب حديثه" البلاغة الجديدة ذات التّوجه الحجاجي في سبيل تحصيل الحقيقة المُثلى"[1]،بمعنى أنّ البلاغة الجديدة هي جزء من البلاغة الحجاجية،أو هي نظرية مطابقة للحجاج من أجل تحصيل معرفة جديدة.وعليه فالبلاغية الحجاجية هي بلاغة ذاتية أكثر ما هي بلاغة موضوعية.

فالباحثون اليوم يكادون أن يجمعوا على"أنَّ البلاغة هي الأفق المنشودة المتلقى الضروري للتداولية وعلم النّص والسّيمولوجيا،وهي النّموذج المُؤَمَلْ عليه للعلم الإنساني في إطاره الشّامل الجديد"[2]،أي البلاغة هي ليست دراسة لجماليات النّص فحسب،بل هي فلسفة تفكير وثقافة للمجتمع وأسلوبية للحوار،وكذلك هي نقطة الاشتراك والالتقاء بين علوم وفروع الزمرة المعرفية الواحدة،فهي لم تعد وظيفتها تحليل النّصوص فحسب،بل إنتاجها أيضاً.

أمّا فيما يتعلّق بتعريفات البلاغة يختار"بارث "R.Borth من تلك التّي قدّمها أرسطو إليها،ذلك الذّي يعتبرها فيه"فنّ استخلاص كل موضوع درجة الإقناع التّي يحتويها ،أو هي القدرة على كشف نظري لما يمكن أن يكون في حالة خالصاً للإقناع"[3].

وهو يشير إلى أنّ الخطابة تقنية خاصّة مقسّمة بحسب أطراف العملية التّواصلية،وكذلك ما يحتاجه الخطيب من حجج وبراهين،وبالتالّي تكون الغلبة للمحتمل والممكن وما يعتقده المخاطب.

وكذلك نجد مساهمات"هنريش بليث"H.Belithe،وخاصّةفي كتابه"البلاغة

---

[1] أيت أعراب صونية وعكوش،المرجع السابق،ص11.

[2] محمد سالم محمد الأمين الطلبة،الحجاج في البلاغة المعاصرة،ص09.

[3] رولان بارث،قراءة جديدة للبلاغة القديمة،ترجمة محمد أوكان،المغرب،دار إفريقيا،ط1، 1994،ص:20.

والأسلوبية"Rhetorique et stylistique"،الذي حاول فيه تأكيد الطّابع التّداولي للبلاغة القديمة،مستعيناً في ذلك برؤية علامية دلالية"ينتهي فيها إلى أنَّ البلاغة المعيارية يمكننا أن تصبح بلاغة وصْفية،بل أيضًا بلاغة تاريخية تأويلية تعكس بصورة نقدية وضعية تلقي الشّارح(النّص)،وأنّها مؤهلة في هذه الحالة لتكوين أسس نظرية تداولية للنّص"[1].أي الاهتمام بمختلف المقامات الإبداعية الدّاخلية والخارجية،وكذا تحليلها للنصوص وتأويلها في ضوء التداولية الحجاجية وخصائصها المقامية والسّياقية.

وكذلك نجد أنّ النّاقد الفرنسي"لا هارب"la Harpe"تحدّث عن البلاغة وقال:"البلاغة هي التعبير الصحيح عن عاطفة حق"[2]،بمعنى أنّها بلاغة الكلام والتّي تؤثر في نفس النّفس.

أمّا قول"سورين"Sourin":وهو شاعر درامي،فيرى البلاغة أنّها"الفكرة الصائبة،ثمّ الكلمة المناسبة"[3].وكذلك "لابروبير"jean de la Bruyere"وهو كاتب أخلاقي،فإنَّه يقول:"هي نعمة روحية تولينا السيطرة على النفوس"[4].

فالناظر المتقصى في أقوال هؤلاء يستطيع أن يستخلص من جملتها أنَّ البلاغة هي بمعناها الشّامل الكامل ملكة يؤثر بها صاحبها في عقول النّاس وقلوبهم عن طريق الكتابة أو الكلام.

أمَّا فيما يقال عن البلاغة الريكورية من الذين اطّالعوا في كتاب" ريكور" الاستعارة الحيّة(1975)،وفيه يجدون أنَّه يتنبئ تعريفًا مُعَيَّنًا للبلاغة ،وهو يُعد مؤشِّر للدلالة على وظيفتها

[1] محمد سالم محمد الأمين الطلبة،الحجاج في البلاغة المعاصرة،ص:178-179.

[2] أحمد حسن الزّيات،الدفاع عن البلاغة،عالم الكتب،القاهرة،ط2،سنة1967.ص:33.

[3] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[4] المرجع نفسه،ص:34.

الحجاجية.وفي هذا التّعريف القديم تعتبر البلاغة"سُلوكاً فلسفياً يهدف إلى سيطرة على القوانين الأساسية للاستعمال اللّغوي ...وبهذا التّركيز على الاستعمال اللّغوي توضع البلاغة في الإطار الفعلي لكلّ من الفهم والتّواصل،إذًا تكون البلاغة في الإطار الفعلي لكل من الفهم والتّواصل ،إذا تكون البلاغة هي نظرية الخطاب،أوهي الفكر الذّي يغدوا بدوره خطاباً...وفي أخر مطاف تكون البلاغة:دراسة الفهم وسوء الفهم الفعلي وكل ما من شأنه معالجة ذلك"[1].والمعلوم في هذا التّعريف أنَّ السّيطرة على قوانين اللّغة وإنّما يكون ذلك بغرض توجيه الخطاب،أي أنَّ البلاغة في أوسع معانيها هي "فن الحجاج"،وبذلك تنتهي إلى دراسة سوء الفهم ومعالجته وهو من أهم المشاغل البلاغية بحسب الأنواع والأجناس الخطابية في مجتمع ما.

نستخلص من خلال تحليلينا لهذا المبحث وجود تقارب بين كل من البلاغة الغربية القديمة والبلاغة الجديدة،أوّلها التّقليدية التّي كانت لها مهمة إعانة الكاتب عن طريق الأدوات والصوّر والمحسنات البديعية،والتّي تمثل بدورها في الإفهام والتّأثير.أمّا فيما يخصّ البلاغة الجديدة فقد انصبت دراستها على الحجاج والبراهين التّي يحتويها النّص،بمعنى أنَّ منهجه المتتبع للتأثير بالمخاطب هو في الإقناع والتّأثير.

[1] محمد سالم محمد الأمين الطلبة،الحجاج في البلاغة المعاصرة،ص163.

المبحث الثّاني:أقسام البلاغة العربية

إنَّ التّقسيم التّقليدي للبلاغة يقوم على ثلاثة علوم وهي:علم المعاني،وعلم البيان،وعلم البديع.حيث يعود هذا التّقسيم إلى البلاغيين المتأخرين،وأشهرهم اثنان:السّكاكي(ت 626هـ)في كتابه"مفتاح العلوم"والقزويني(ت739هـ)في كتابه"تلخيص المفتاح"،وعلى هذا الأساس يمكننا التّفصيل في ذلك:[1]

المطلب الأوّل:علم المعاني

إنَّ عَالِم البلاغة يوجّه اهتمامه حَوْلَ الكلمة والجملة العربية على المعاني التّي تدلّ عليها صيغُ الكلمات،وأُصُول تراكيبها وفروعها،والمعاني التّي يَدُلُّ عليها التّقديم والتّأخير في مواضع الكلمات عمّا هو الأصلُ في التّراكيب،والتّي يَدُلّ عليها في الذّكر والحذف،والاقتصار،وغير ذلك ممّا فيه دلالة على معنى يمكن بحسب الاستعمال العربي أن يَدُلَّ عليه،ممَّا قَصَدَ به بلغاء أهل اللّسان للدلالة عليه.

كما وجّه علماء البلاغة اهتمامهم لهذه الأمور ضمن أمور أخرى احتفلوا بها،بغية التّنبيه على معالم المنهج الأمثل للناطق العربي،حتّى يتدرّب المؤهل للارتقاء في إنشاء وارتجال الكلام الفصيح البليغ الرّاقي بعناصره الأدبيّة،حتّى يكون أديباً فصيحاً بليغًا منضبطاً مع أساليب اللّسان العربي،في الذّكر والحذف،والتّقديم والتّأخير،والإظهار والإضمار،واختيار نوع دون غيره من أنواع الكلام،وانتقاء المفردات بعناية،وتصفيف الكلمات والجُمل بدقّة،لِتَبْلُغَ المبلغ المطلوب من التّأثير في الذّين يتلقّون

[1] يُنظر:محمد كريم الكوّاز،البلاغة والنقد،ص:264.

كلامه،بحسب قواعد دلالتها الصّحيحة أو الضمنية أو اللّزومية،حتّى مستوى الإثارة الرّمزيّة[1].ومن هذا نشأ عند البلاغيين ما يُسمى بعلم المعاني.

أوّلاً:تعريف علم المعاني

و علم يُعرف به أحوال اللّفظ العربي التّي بها يطابق مقتضى الحال،مع وفائه بغرض بلاغي يُفْهم ضمناً من السّياق،وما يحيط به القرائن،أو هو علم يبحث في الجملة بحيث تأتي معبّرة عن المعنى المقصود[2].

فكما قال السّكاكي:"علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام ما يقتضى الحالُ ذكرهُ"[3]،ولهذا فإنَّ علم المعاني هو تأدية المعنى الصّحيح والاحتراز من الوقوع في الخطأ،وبذلك يكون الكلام وفق الغرض الذّي سيق فيه.

[1] يُنظر:عبد الرحمان حسن حبنّك الميْربني،البلاغة العربية"أسُسها،وعُلومُها،وفنونها"،دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق،ط1 سنة1416هـ-1996م،ج1،ص138.

[2] الخطيب القزويني،الإيضاح في علوم البلاغة"المعاني والبيان والبديع"،وضع حواشيه"إبراهيم شمس الدّين"،دار الكتب العلمية بيروت-لبنان،ط1،سنة1434-2003،ص:04.

[3] عبد المعتال الصعيدي،"بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة،ملتزم الطبع والنشر،ج1،(د.س.ط)،ص:36.

ثانياً:أبواب علم المعاني

إنَّ أحوال اللّفظ العربي،تارةً تكون أحوالاً لمفرد وتارةً تكون أحوالاً لجملة.فعلم المعاني منحصر في ثمانية أبواب:[1]

1-أحوال الإسناد الخبري.

2-أحوال المسند إليه.

3-أحوال المسند.

4-أحوال متعلّقات الفعل.

5-القصر.

6-الإنشاء.

7-الفصل والوصل.

8-الإيجاز والإطناب والمساواة.

فالمعنى واحد:ككرم سعد،يدلُّ عليه تارة بطريق التّشبيه، بأن يقال:سعد كحاتم،ومرّة بطريق المجاز،بأن يقال:"رأيتُ بحراً في دار سعد،وأخرى بطريق الكناية،بأن يُقال:سعدُ كثير الرّماد،ولا يخفى أنّ بعضَ هذه التّراكيب أوضح من البعض الأخر.[2]

[1] عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتّوي،الكافي في علوم البلاغة العربية،منشورات الجامعة المفتوحة،(د.ط)،1993،ج1 ص:54-55.

[2] السيد أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة،ص216.

وهو يتألف من المباحث التّالية:

- ✓ تصريح والمداورة.
- ✓ التّشبيه.
- ✓ المجاز ،والمجاز المرسل.
- ✓ الإستعارة.
- ✓ الكناية.[1]

ثالثاً:واضع هذا العلم

ذكروا أنَّ أوّل من دوّن مسائل عِلْم البيان هو أبو عبيدة"معمر بن المثنى"في كتابه:"مجاز القرآن"،وتبعه"الجاحظ".ثمّ جاء الشّيخ"عبد القاهر الجرجاني"،فأحكم أساسه،وأكمل في بنيانه،ورتّب قواعده.[2]

رابعاً:ثمرته

الوقوف على أسرار كلام العرب،منثوره ومنظومِه ومعرفة ما فيه من تَفَاوُتِ في فنون صاحة،وتباين في درجات البلاغة التّي يصل بها إلى مرتبة إعجاز القرآن الكريم الذّي حار الجِنّ والإنس في محاكاته،وعجزوا عن الإتيان بمثله.[3]

---

[1] الخطيب القزويني،الإيضاح في علوم البلاغة"المعاني والبيان،البديع"،ص:05.

[2] عبد الرحمان حسن حبنك المربني،البلاغة العربية أسسها،وعلومها،وفنونها،ج2،ص:125-126.

[3] السيد أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة،ص217.

وذلك لأنّ الكلام العربي نوعان:إمّا الخبر أوالإنشاء،ولابّد له من إسناد،من مسند ومسند إليه.والمسند قد يكون له متعلّقات إذا كان فعلاً،أو في معناه كاسم الفاعل،وكل من التّعلق والإسناد،إمّا قصراً أو غير قصر.والجملة إذا قرنت بأخرى فالثانية إمّا معطوفة على الأولى،أو غير معطوفة،وهما الفصل والوصل.

ولفظ الكلام البليغ إمّا مساوٍ لأصل المراد وهو المساواة،وإمّا ناقص عن المراد وهو الإيجاز،أو زائد عن الأصل المراد لفائدة،وهو الإطناب[1].

المطلب الثاني:علم البيان

أولاً:تعريف البيان

أ-لغةً:معناه في اللّغة:الكشف والإيضاح،أي الوضوح والظهور،ويقال:بَانَ الشيء بَيَاناً إِذَا اتّضح وظَهَرَ[2].

ب-اصطلاحاً:هو علم يبحث في كيفيّات تأدية المعنى الواحد بطرق تختلف في وضوح دلالتها،وتختلف في صُورها وأشكالها وما تتّصف به من إبداعٍ وجمالٍ،أو قُبحٍ وابتذال"[3]،فهو عبارة عن صُول وقواعد يُعرف بها إيرادُ المعنى الواحد بطُرُق يختلف بعضها عن بعضٍ في وضوح الدّلالة على نفس ذلك المعنى،ولابُدَّ من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائماً.

[1] عبد العزيز عبد المُعطي عُرفة،بلاغة النّظم العربي،عالم الكتب،بيروت،ج1،ط2،سنة1403-1984،ص:68-69.

[2] السيد أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة،ص:216.

[3] عبد الرحمان حسن حَبَنَك المبربني،البلاغَة العربية"أسُسها،وعلومها،وفُنُونها"ص:126.

وبالتالي يُعَدُّ علم البيان اسم شامل يكشف ما يحويه المعنى،وإزالة الحجب حتّى يصل السّامع إلى ما هو حقيقي.

المطلب الثالث:علم البديع

لقد اكتشف البلاغيون في النّصوص البليغة ذات البيان الرّفيع منثورات جمالية متفرّقة،لفظيّة ومعنوية،وهذه المتفرّقات المتناثرات يَعْسُرُ تأليفها في أبواب وفصول،ولا يتّضح في معظمها إلحاقُها لمي المعاني والبيان،وسمّوا كلّ واحدٍ ممّا اكتشفوه منها باسم خاصٍّ بها،وجمعوها في مُسَمَّى علم واحدٍ،أطلقوا عليه اسم"البديع".

وهذه الجماليّات البديعية التّي يوحد فيها جماليات معنوية عبّروا عنها بعبارة"المحسنات المعنوية"،ويوحد فيها أيضًا جماليات لفظية عبّروا عنها بعبارة"المحسّنات اللّفظية"،فإذا كانت هذه الجماليات البديعية على اختلافها في الكلام أو في الأجسام أو في غير ذلك من كلِّ ما يُرى أو يسمع أو يُدرك بالفكر مصطنعة متكلّفة،مُكْرَهَةٌ إكراهًا على الدّخول في مواضع غير ملائمة لها،أو مَكْدُوسة كَدْساً دون حس جمالي رفيع،أعطت تأثيرات عكسية،وربّما أفسدت الجوانب الجملية التّي كانت تُلْحَظُ في المزيّن بها قبل إضافتها للتّزيين بها[1].

فالبدائع الجمالية لا تُضاف اعتباطاً دون حسٍّ رفيع بالجمال،ولإضافتها شروط بالغة الأهمية،ومن أوائل شروطها وأهمها ما يلي:الإتقان البالغ،والطَبَعيَّة،والتّلقائية،وإخفاء قصد التّجميل والتّزيين به حتّى لا يَشعُر ذوّاقُو الجمال الملاحظون لها في نظراتهم الأولى أنّها مصنوعة بتكلّف،بل

[1] يُنظر:المرجع نفسه،ج2،ص367-368.

يشعرون أنّها واردة بتلقائية السّلوك المعتاد.ولما اكتشفه البلاغيون من هذه البدائع لا نعتبره اكتشافاً جامعاً جمعاً كلّياً وحاصراً،فالبدائع الجمالية يصعُبُ إحصاؤها كلّها،وهي قابلة للإضافات الابتكارين التّي تَتَفَتَّقُ عنها مواهب المبدعين[1].

أولاً:تعريف البديع

أ–لغةً:تقول المعاجم اللّغوية عن مادّة(ب،د،ع):"بَدَعَ الشيء يُبْدِعُهُ بَدْعاً.وابْتَدَعَهُ أنشأهُ وبدأه.وَبَدَعَ الرَّكِيَّةَ:استنبطها وأحْدَثَهَا.والبَدِيْعُ والبَدْعُ:الشيء الذّي يكون أوّلاً.وفي التنزيل **[قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ۝]**،أي ما كنت أول من الرّسل"[2].

وكلمة"بديع"على وزن"فعيل"تأتي لغةً بمعنى اسم الفاعل،وبمعنى "اسم المفعول".

والبَدِيعُ:المُبْدِعُ.وأَبْدَعْتُ الشيء:اخترعته لا على مثال.والبديعُ:من أسماء الله تعالى،لإبداعه الأشياء وإحداثه إيّاها،وهو البديع الأوّل قبل كلّ شيء.ويجوز أن يكون بمعنى مبدع،أو يكون من بدع الخلق،أي بدأه"[3].

وعليه فالمعنى اللّغوي لهذه المادّة يتمثل في الإنشاء والابتداء،والاختراع،وكل ما من شأنه أن يدل على الحدة والابتكار الذّي لم يسبق إليه.

---

[1] حسن حبنك الميريني،المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[2] سورة الأحقاف،الأية09.

[3] ابن منظور،لسان العرب،دار المعارف،القاهرة،مصر،(د.ت)،مادة"بدع".

اصطلاحاً:هو علم يُعْرَف به الوجوه والمزايا التّي تزيد الكلام حُسْناً وطلاوة وتكسوه بهاءً ورونقاً بعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المراد،وهي ضربان:معنوي ولفظي[1].

ثانياً:واضع علم البديع

وواضعه عبد الله ابن المعتز(ت274هـ)،إذْ جمع ما اكتشفه في الشِّعر من المحسنات وكتب فيه كتاباً جعل عنوانه عبارة:"البديع"ثمّ اقتفى أثره"قدامة بن جعفر"،ثمّ ألَف فيه الكثيرون كأبي هلال العسكري"وابن رشيق القيرواني،وصفي الدّين الجلي،وابن حِجّة الحَمَوي...وغيرهم[2].

وفي الأخير،انتهينا إلى أنَّ علم المعاني في طابعه العام دراسة للجانب المتعلّق بالمعنى الوظيفي للجملة العربية،وأنَّه بهذه المثابة يعتبر مكمّلاً للنّحو العربي الذّي يدرس وظائف المفردات في الجملة.ورأينا كذلك أنَّ علم البيان ألصق باللّغة لأنَّه يبحث تغيرات المعنى المفرد على محورين:محور الحقيقة والمجاز،ومحور القرب والبعد.ثمّ رأينا أخيراً أنَّ البديع على الرّغم من تناوله ما يُسمى بالمحسّنات المعنوية لا يهتم بتغيرات المعنى بقدر ما يهتم بالأنماط والطرز.

المبحث الثالث:أهمية البلاغة العربية ومراميها

إنَّ كلّ كاتب أو قارئ كيف ما كانت درجة ثقافته يسعى إلى امتلاك مفاتيح البلاغة أو مفتاح من مفاتيحها المتعدّدة إن صّح التعبير،ومتى امتلك المرء مفتاح من مفاتيح البلاغة،فتح به باب من أبواب الخطاب ريثما كانت ماهيته،وتكشف له المعنى الخفي،ورأي كل دلالة مستعصية،وكلّما امتلك

[1] السيد أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة،ص:298.

[2] يُنظر:عبد الرحمان حسن حَبَنَّك الميربي،البلاغة العربية"أسسها،وعلومها وفنونها،ج3،ص369-370.

الإنسان شيء من البلاغة وتقوى عنده البيان،وصار عارفاً لموضع الخطأ والصّواب بالمسموح أو المخصوص من الخطاب[1].

وتكمن **أهميّة البلاغة** في كونها علمًا يقوم على النقاط الأساسية وهي:

– لقد اهتمت الأمم بتدوين قواعد البلاغة وأصولها لتكون عوناً للدارسين والنّاقدين،ولعلّ اليونانيين كانوا أوّل من عُنِيَ بتدوين البلاغة والبحث في مسائلها.فأرسطو قد بحث كثيراً من موضوعاتها كالمجاز والاستعارة والتشبيه...وغيرها في كتابيه"الشّعر"و"الخطابة".

– كانت البلاغة من أوائل العلوم التّي اهتم العرب والمسلمون بها،لحاجتهم إليها في معرفة روعة القرآن وسحره.بالإضافة إلى رغبة الأجانب في تعلّم اللّغة العربية وتفهم أساليبها وتذوقها،بعد أن أصبحت اللّغة الرّسميَّة للأقطار المفتوحة بعد أن انتشر الإسلام وساد معظم بقاع العالم المعمور.

–لقد أشار القدماء إلى أهمية البلاغة وما ترمي إليه،فهذا أبو هلال العسكري(395هـ) يوضِّح أهميتها وأهدافها بقوله:"إنَّ أحق العلوم بالتَّعلم وأولاها بالتّحفظ بعد المعرفة بالله جلَّ ثناؤه –علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذّي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى.وقد علمنا أنَّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخلَّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله من حسن التّأليف وبراعة التّركيب"[2]،ونجد أنَّ البلاغة–عند هذا المؤلف–لها غاية دينية،وهي إثبات إعجاز القرآن عن طريق معرفتها وتلك الغاية الدينية هي التّي لمسناها لدى أكثر السّابقين إلى علم البلاغة.

---

[1] www.startimes.com

[2] أحمد مطلوب،البلاغة عبد السّكاكي،منشورات مكتبة النهضة،بغداد،ط1،سنة1384هـ–1964م،ص:76.

-إنَّ غاية ما ترمي دراسة البلاغة إليه عند معظم البلاغيين هي معرفة إعجاز القرآن الكريم وبيان سرّ إعجازه،وهذا غرض ديني بحث،والهدف منه خدمة القرآن وتثبيت العقيدة الإسلامية في أدهان النّاس،إلى جانب هدفين آخرين هما:هدف نقدي،وهو معرفة الكلام الجيّد من الرّديء،وغرض تعليمي:وهو الاستعانة بالبلاغة في إنشاء الأدب:شعره ونثره[1].

بهذا نجد أنَّ البلاغة لا يَقتصر نفْعُهَا على فريق دون فريق أخر،فالأديب والمؤرخ والمُتكلّم ودارس القرآن محتاجون إليها،لأنَّها تنير سبيلهم وتعينهم على أنَّ تكون أثارهم مفيدة ومؤثّرة وممتعة.

[1] المرجع نفسه،ص:77.

المبحث الرابع:علاقة البلاغة العربية بالعلوم الأخرى

نَّ المحطّة التّاريخية التّي مرّت بها البلاغة العربية وتعدّد بيئة نشأتها،جعلها تتداخل عن بعد أو قرب مع عدّة علوم،من بينها:البلاغة والأدب والنّقد والتّذوق الأدبي،البلاغة واللّغة،البلاغة والنّحو،البلاغة والدّين.

المطلب الأوّل:البلاغة والأدب والنّقد والتّذوق الأدبي

إنَّ هذه الفنون الأربعة مرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً،فالنّقد هو دراسة النّص الأدبي دراسة تحليلية تتناول الأسلوب والمضمون لتحديد قيمته الفنّية ومستوى جودته بين بقية النّصوص الأدبية.واستناداً إلى ذلك نجد أنَّ النّقد لا يمكن له الانفصال عن الأدب،وكذلك البلاغة"فهي قوام الأدب،وعنصر تكوينه الأهم حيث إنّها تدور في ذلك اللّفظ والمعنى والأسلوب،وهي من ناحية أخرى مركز النّقد الأدبي ومرجعه،فالأدب لا يسمّى أدباً إلاَّ إذا اتسم بالبلاغة،ولم ينهض علم البلاغة إلاَّ بالكشف عن مكنون الأدب شعره ونثره والوقوف على سرّ جماله،ومبعث تحريكه للعواطف والمشاعر ممّا يعدّ معتمد النّاقد الفنّي إذا نقد الأدب.إذاً فالأدب والبلاغة والنَّقد الأدبي هي ألفاظ ثلاثة تختلف في الصّورة اللّفظية ولكن يجمعها رباط وثيق من معنى موحد يبدأ بالأدب الذّي لا يتسمى باسمه إلاَّ بالبلاغة وينتهي بالنَّقد الأدبي الذّي يأخذ مادّته من كيان البلاغة في الأدب[1].

وفي هذا النّص إشارة إلى أنَّ الكثير من المؤلّفات التّي مزجت بين الأدب والنّقد،وكذلك اتُّخذت كثير من الأمور البلاغية فيها مقاييس بنقد الأدب على أساس منها.

[1] حسن سليمان قورة-تعليم اللغة العربية-دراسة تحليلية ومواقف تطبيقية،دار المعارف،مصر،ط3،سنة1977،ص:337.

أمّا التّذوق الأدبي فهو"اقتدار الفرد على إدراك ما في النّص الأدبي من ضعف وقوّة وقبح وجمال مبيّناً بالطبع على مقوّمات البلاغة والنّقد الأدبي ممّا يجعله يستمع به أو ينفر منه"[1]،ومعنى ذلك هو دراسة الأعمال الأدبية،والفنّية وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها،ثمّ الحكم عليها لبيان قيمتها كما أنّه حركة تلازم حركة الإبداع الأدبي،ولذلك تعد البلاغة ملازمة للنقد والأدب.

المطلب الثاني:البلاغة واللّغة

إنَّ العلاقة قائمةٌ بين قواعد اللّغة،وقواعد البلاغة،كلاهما من متطلبات النّص الأدبي."فابن سنان الخفاجي يعتقد أنَّ للصوت قيمة جمالية...ولهذا السبب فقد قسّم الحروف إلى قسمين:قسم يحسن استعماله في الفصيح وقسم لا يحسن استعماله"[2]،وهو يعني بذلك أنَّ للحروف ما يمكن أن نستعمله،فيكون متداولاً،لا يوجد فيه تنافر أو غرابة،وهناك ما لا يمكن أن نستعمله ويُسمّى مهملاً" نظيون يوسّعون هذه القيم والمعنويون يضيقونها،القيّم اللّفظية التّي تتناول مظاهر الحسن والقبح كثيرة ولكن غير مصطلح عليها لأنّها كثيرة،ولأنّها ترتبط بالإحساس(...)فالجاحظ مثلاً قد حثّ على تخيّر اللّفظ وسهولة المخرج وجودة السّبك وإقامة الوزن،وقد جعل ابن طباطبا العلوي للفظ قوّة فاعلة تجعل المعنى الحسن قبيحاً،ويطلب قدامة بن جعفر من اللّفظ أن يكون سمحاً،سهل المخارج،عليه رونق الفصاحة،ويرى أبو هلال العسكري أنَّ اللّفظ إنَّما يحسن بسلاسته،ونصاعته،وتميّز

[1] المرجع السابق،الصفحة نفسها.

[2] مهدي صالح السامرائي،تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية،المكتب الإسلامي،دمشق،ط1،سنة1977،ص:293-297.

لفظه،وإصابة معناه،وجودة مطالعه،ولين مقاطعه"[1]،وبالتّالي نجد أنَّ هؤلاء البلاغيين يرجّحون قيمة اللّفظ على المعنى،غير أنّهم لم يغفلوا قيمة المعنى تماماً،وكذلك يشتركون في أنَّ للّفظ قوّة وجزالة بحيث تمكّنهم من تمييز الكلام الحسن والقبيحْ.

المطلب الثالث:البلاغة والنّحو

إنَّ العلاقة بين النَّحو وعلمي البلاغة من معانٍ وبيان علاقة وطيدة وقائمة،فباحث البلاغة لابدّ له من أن يبحث بعلم النّحو ليكتمل بحثه .وقد أكّد على ذلك عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرية النَّظم عنده،والنَّظم هو صنعة يستعان عليها بالفكرة لا محالة،فيقول:"إنْ قِيْلَ أنَّ النّظم موجودة في الألفاظ على كل حال،ولا سبيل إلى أن يعقل التّرتيب الذّي تزعمه في المعاني،ما لم تنظم للألفاظ ولم ترتبها على الوجه الخاص"[2].

مؤّكّداً أنَّه لا يغفل على أحد أنَّ لا نظم في الكلم حتّى يعلّق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض[3].

وبذلك نجد أنَّ عبد القاهر الجرجاني قد خرج بالنّحو عمّا كان عند العلماء الأوائل فلم يجعله مقصوراً على أواخر الكلمات،وعلى ائتلاف وضع الألفاظ الواحدة تلو الأخرى،إنَّما جاء بمنهج جديد وهو الرّبط بين النّحو والبلاغة المسمّى النظم.

---

[1] مهدي صالح السامرائي،تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية،ص:293-297.

[2] عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز:قرأه وعلّق عليه،محمود شائر،مكتبة الجانجي،القاهرة،(د.ت-د.ط)،ص:51.

[3] المصدر نفسه،ص55.

فالنَّظم عند عبد القاهر الجرجاني هو:"إلاَّ أنَّ تضم كلامك الوضع الذّي يقتضيه علم النّحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التّي نهجت فلا تزيغ عنها،وتحفظ الرّسوم التّي رسمت لك فلا تخل بشيء منها"[1].

وهو يشير في نصّه هذا إلى النّظم عنده هو معاني النّحو ودلالته،وكذلك إدراك العلاقات بين أجزاء النّص،ومن هذا المنطلق نجده يكرّر هذا المعنى ويؤكّده في كثير من الأحيان.

مضيفاً"أنَّ ليس النَّظم شيئاً إلاَّ توخي معاني النّحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم"[2]،بمعنى أنَّ فساد النَّظم،كان سببه في عدم توخي معاني الكلم،فمثلاً إذا قدّم الشّاعر أو حذف أو أضمر في غير موضع الكلمة ومكانها الصحيح،يؤدّي إلى فسادها.

وكذلك نجد أنَّ عبد القاهر الجرجاني فتح باب التّذوق البلاغي على مصراعيه للدّارسين والمتذوقين،والأدباء المبدعين،وإنَّه انطلق بالنّحو نحو مفهوم جديد،حيث امتزجت معه البلاغة العربية،وذلك من خلال علاقة النّحو بالبلاغة،أو فكرة النّحو البلاغي.وبالتالي نجد أنَّ"فتحي عامر"يؤكد:"أنَّه لا يقصد بنظريته الجديدة إلى شيء من هذا،ولكنّه يقصد إلى النّحو البلاغي،أو البلاغة النّحوية،وبذلك يكون أوّل عالم أخرج النّحو من نطاق شكليته وجفافه،وسما به فوق الخلافات،وبعث فيه دفء اللّذة الشّعورية والعقلية معاً،وأخضعه لفكرة النّظم،وأخضع فكرة النّظم

[1] الجرجاني،المصدر السابق،ص:81.

[2] المصدر نفسه،ص:525.

إليه،وأصبح النّظم الذّي يرتبط بالنّحو،أو النّحو الذّي يعود إليه النّظم مباحث في الأسرار البلاغية،(...)وذلك هو الإعجاز الذّي أذاب فيه الرّجل العالم عصارة أيامه ولياليه"[1].

وكذلك من الصّور البلاغية التّي تدلّ على البلاغة النّحوية،لما وراءها من دلالات خفية لا يدركها الأديب إلاّ بعد تفكير وتعمّق،وذلك ما نجده عند عبد القاهر الجرجاني في تحليله لقول طفيل الغنوي لبني جعفر بن كلاب:

جَزَا اللهُ عَنَّا جَعْفَرَا حين أُزْلِقَتْ بِنَا نَعْلُنَا في الوَاطِئين فَزَلَتْ

أَبَوَا أَنْ يَمَلُّونَا ولَوْ أَنَأُمِنَّا تَّلاَقِي الذّي لاَقُوهُ مِنَّا لَمْلَمَتْ

هُمْ خَلَطُونا بالنُّفُوسِ والجَؤَا إلى الحُجُرَاتِ أدفأو أظلت[2].

إذًا يذهب الإمام عبد القاهر إلى تحليل هذه الأبيات،فيقول:"فيها حذف مفعول مقصود قصده في أربعة مواضع،قوله:لملمت،وأدفأت وأظلت،لأنَّ الأصل(لملمتنا وألجؤنا إلى حجرات أدفأتنا وأظللتنا إلاّ أنَّ الحال على ما ذكرت لك من أنّه في حد المتناهي حتّى كأنَّ لا قصد إلى المفعول،وكأنَّ الفعل ـ أبهم أمر،فلم يقصد به قصد شيء يقع عليه كما يكون إذا قلت:قد ملّ فلان:تريد أن تقول:قد دخله الملال:من غير أن تخصّ شيئاً بل تزيد على أن تجعل الملا لمن صفته،كما تقول:هذا بيت يدفئ

[1] نصر الدّين إبراهيم،فكرة النحو البلاغي في ضوء نظرية النظم،"للإمام عبد القاهر الجرجاني"،مجلة كلية المعارف الجامعة،العدد العشرون،سنة1433هـ-2012م،ص332.

[2] المرجع نفسه،ص:333.

ويظل، تريد أنَّه بهذه الصّفة.[1] وفي هذا المثال نجد أنَّ مسألة الحذف لا تأتي بديهة وإنّما النغمة البلاغية هي التّي توجب ذلك،وهكذا يتاح للقارئ التذوق السليم،وإدراك الدلالات الخفيّة مع توضيحها.

يمكننا القول هنا أنَّ عبد القاهر الجرجاني جعل من النّحو والبلاغة علمان متلازمان ولا يمكن الفصل بينهما حيث يلتقيان في نظم الكلم وضم بعضه إلى بعض،فلا يمكن دراسة بلاغة الكلم دون دراسة النّحو،لأنَّ الكاتب أو المتكلم إذا لم يأخذ بعين الاعتبار النّحو والبلاغة فسوف ينشأ على ذلك فساد التّركيب،والذّي هو ناجم عن عدم توخي معاني النّحو وأحكامه بين الكلمات،وبالتّالي نجد أنَّ هذه النّظرية كانت تعريفاً بهذه الصّلة والرّباطة على الرّغم من قدمها،مبيّنًا أهميتها في الكلام وضرورة العمل وعدم التّخلي عنها.

[1] المرجع نفسه،ص:333-334.

المطلب الرّابع:البلاغة والدّين

إنَّ الدّافع الأوّل الذّي دفع الباحثين إلى البحث في البلاغة هو الفكر الدّيني بقرآنه الكريم،وحديثه الشريف وذلك لسببين:

1-تفسير آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة لمعرفة الأحكام الإلهية،فقد قال الزَّمخشري:"إنَّه لا يستطيع تفسيره إلاَّ شخص برز في علمي المعاني والبيان"[1]،بمعنى أنَّ الهدف الرئيسي لهذه الأبحاث كان من أجل التعرف على معاني كلمات القرآن، وذلك عن طريق ربط الدين بالبلاغة من خلال علميها المعاني والبيان،والعلاقة بين الدين والبلاغة علاقة وطيدة.

2-معرفة إعجاز القرآن الكريم،وسر بيانه،وبديع أسلوبه،الذّي فاق كلّما جاء على لسان العرب.ومن أجل ذلك فقد ألف العرب العديد من الكتب التّي بحثت في بلاغة القرآن وأسرارها،ومن ذلك:"دلائل الإعجاز"لعبد القاهر الجرجاني،ومعاني القرآن للفرّاء ومشكل القرآن لابن قتيبة،والنكت في إعجاز القرآن للرماني،وإعجاز القرآن للباقلاني،والصناعتان لأبي هلال العسكري.فالعلاقة وثيقة بين البلاغة والدّين،فمن الفكر الدّيني استمدت الـ لاغة وجودها،وبها حاول الباحثون البلاغيون تفسير الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وبيان سر إعجاز القرآن الكريم.

[1] مهدي صالح السامرائي،تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية،ص:07.

الفصل الثاني

جهود العلماء في التراث البلاغي

تمهيد:

إنَّ البلاغة من الفنون الأدبية اللّغوية،التّي تُعنى بدراسة الوسائل وتساعد على فهم مختلف النُّصوص النثرية والأدبية،فمتصفّحها يلاحظ أنّها انتقلت في مراحل أربع هي:

مراحل النّشأة،والنّمو،والازدهار ثمّ الذّبول،وقد استأثرت البلاغة بتنصيب وافر من مجهود المهتمين بالتراث العربي فمنذ القرن الماضي بدأت حركة تأليف نشيطة تتسارع نسقها شيئاً فشيئاً،حتّى أصبحت من العيسر الإلمام بكل ما نشر في الموضوع،ولذلك يجب أن لا ننسى الفضل الكبير الذّي قدّمه العلماء في مجال البلاغة والكشف عن مساهمتهم في بلورة مسائلها وضبط مقاييسها،كما لم يغفل الدّارسون صلتها بأوجه النّشاط الفكري كالتّفكير والنّحو والإعجاز وحتّى الفلسفة،فكانت القدماء من أهم العوامل التّي ساعدت على نشأة البلاغة وأمدتها بفيض زاخر من الملاحظات البيانية التّي أَثْرَتْ البحوث البلاغية على مدى قرون.

ويمكن القول هنا أنَّ دراسة الإعجاز البياني كان الهدف الوحيد والأسمى الذّي من أجله وضع علم البلاغة،ثمَّ أخذت هذه الدّراسات والملاحظات تتسع في العصر العبّاسي بحكم تعمقها الحّضاري.

وظهور ما سموه البديع والبيان،أكد ذلك كلّه لنمو مباحث البلاغة نموًّا سريعاً.وبذلك نجد أن البلاغة قد:عَنَاها اللّغويون أمثال،سيبويه والمبرد والفرّاء...وغيرهم.أمَّا الأدباء فقد تناولها الجاحظ وأسهب في الحديث عنها.

ثمَّ نشأت مجموعة من النّقاد الذّين أثار البلاغة،أمثالْ ابن المعتز،ابن رشيق القيرواني دون أن ننسى دور أبو هلال العسكري.

هذه الدّراسات التّي ازدهرت وأينعت على يد"عبد القاهر الجرجاني"إلى جانب السكاكي والقزويني اللّذين كانت لهم أعمال خالدة في تاريخ البلاغة،بعدها مباشرة ستقابلنا عصور كثرت فيها ما يسمى بالملخصات والشّروح وكذا التعقيد،وسنحاول في هذا الفصل إلقاء الضوء على بعض العلماء الذّين كان لهم الفضل في تاريخ البلاغة العربية إلى غاية فترة جهودها.

المبحث الأوّل:البلاغة العربية عند اللّغويين والأدباء

المطلب الأوّل:سيبويه(ت180هـ)

إنَّ"أبا بشر عمرو بن عثمان بن قنبر" المشهور بسيبويه(ت180هـ)،والمعروف بكتابه"الكتاب"نجده يلمح في مؤلّفه إلى إشارات كثيرة دخلت فيما بعد تحت اسم البلاغة،فالكتاب ليس كتاب نحو فقط،وإنَّما هو كتاب في علوم البلاغة،فيه اللّغة والنّصوص،وفيه النّحو والصّرف،وكذلك فيه البلاغة والعروض،وفيه القراءات والتَّجويد.فمثلاً لو استعرضنا بعض أبواب الكتاب لوقفنا على الكلام في البلاغة،ولكنّه يختلف عن كلام البلاغيين الذّين عرفوا المصطلحات والتّقسيمات،**فيقول سيبويه:**"هذا باب الاستعمال الفعل في اللّفظ لا في المعنى،لا تّساعهم في الكلام وللإيجاز والاختصار...،[1]ويستشهد على ذلك،**بقوله تعالى**[وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ][2] ،وهذا يسمى مجازاً مرسلاً.

ثمّ يقول:(إنَّما يريد أَهْلَ القرية فاختصر...،ومثل(بل مكر اللّيل والنهار)وإنَّما المعنى بل مكركم في اللّيل والنّهار،ومثله في الأتّساع،كقوله عزّ وجلّ:"وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعَقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إلاَّ دعاءً وَنِدَاءً"،[3]فلم يشبهو(بما ينعق)،وإنَّما شُبِّهُوا(بالمنعوق به)،والمعنى مثلكم ومثل الذّين كفروا كمثل النّاعق والمنعوق به الذّي لا يسمع،ولكنَّه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب

[1] يُنظر:مازن المبارك،الموجز في تاريخ البلاغة،دار الفكر،(د.ت-د.ت)،ص:50-51.

[2] سورة يوسف:الآية:82.

[3] سورة البقرة:الآية:177.

بالمعنى"،[1]هنا تشبيه التمثيلي لذلك فقد أدرك سيبويه(ت180هـ)أثر تنظيم الكلمات،فتراه في كتابه المشهور يقوم بشرح بعض الكلمات التّي حدث فيها تصرّف بلاغي،كما يوضّح الوجه الذّي يستقيم عليه المعنىفشرح لنا كثيراً من أساليب النّفي والاستفهام والشّرط والتّقديم والحذف التّي حدثت فيها تصرّفات بلاغية.[2]

كما نجد سيبويه في مواضع كثيرة ينصّ على ضرورة الحذف لأسباب يَرَاها تدخل في فن البلاغة،مثل التَّخفيف والإيجاز والسعة.ففي الحذف يذكر سيبويه أنَّه لا يكون مطلقاً إذ أردنا الحذف،وإنَّما يكون إذا كان المخاطب عالماً به فيعتمد المتكلم على بديهة السّامع في فهم المحذوف،ويقول عن التنازع:"ومِمَّا يقوى ترك نحو هذا لعلم المخاطب،مثل:قوله عزَّ وجلّ:[إِنَّ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ، وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ]،[3]فلم يعمل الأخر فيما أعمل فيه الأوّل استغناء عنه،ومثل بذلك:"ونخلع ونترك من يفجرك"،فسيبويه هنا يتحدث عن الحذف بصفة عامة،ويبين السبب الذّي ألجأ العرب إليه،وأنَّ الذّي دفعهم إلى ذلك إمَّا طلب الخفة على اللّسان،وإمَّا اتساع الكلام والاختصار.

[1] ينظر:سيبويه الكتاب:وضع حواسيه،إميل بديع يعقوب،دار الكتب العلمية،بيروت(لبنان)،ط1،سنة:1420هـ-1999م،ج1 ص:272-273.

[2] عبد العزيز المعطي عرفة،من بلاغة النَّظم العربي،عالم الكتب،ط2،سنة1405هـ-1984م،ج1،ص:11.

[3] الأحزاب،الآية:35.

وبعد أن تحدّث سيبويه عن الحذف بصفة عامة وذكر له بعض الدّواعي البلاغية،دَخَلَ بشيء من التفصيل في مسائل الحذف،فتحدّث عن حروف الجرّ وحَذْفِهَا وسبب حذفها،ومن بين النَّماذج التّي تحدّث عنها سيبويه هي حذف المضاف إذا لم يلتبس على المخاطب،وكان الكلام مفهوماً،فهو في **قول ابن داود**:

أَكُلَّ امْرِئٍ تَحْـــــسِبِيْنَ امْرِءاً وَنارُ تُوقَدُ باللّيلِ نَارا.[1]

يقول:"فاستغنيت عن تثنيته لذكرك إيّاه في أوّل الكلام ولقلّة التباسه على المخاطب ".هذا يعني أنَّه يبيّن السّر البلاغي في حذف المضاف،وأنَّ سببه التَّخفيف.

أمَّا في حديثه عن التَّقديم والتَّأخير،يُعتبر هو العمدة وصاحب الرّيادة فيه،وربّما كان أوّل من طرق سرّ هذا اللّون البلاغي من العلماء.[2]فحينما يُعالج التّقديم والتّأخير في الكلام،فإنَّه يلفت النَّظر سر بلاغي هام،وقد أثرى بهذه اللفتة الطيبة كثيراً من المباحث البلاغية،فيقول في باب الفاعل الذّي يتعدّاه فعله إلى المفعول قدّمت المفعول وأخّرت الفاعل،**كقولك**:"ضَرَبَ زيداً عبد الله...وكان فظ فيه أن يكون الفاعل مقدَّماً،وهو عربي جيد كثير،كأنّهم إنّما يقدمون الذّي بيانه أهم لهم،وهو ببيانه أعنى،وإنَّ كانا جميعاً يعنيانهم"،[3]وهذا يشير إلى تقديم في بعض الحالات ما يجب تقديمه وتأخير ما يجب تأخيره.

---

[1] عبد القادر حسين،أثر النّحاة في البحث البلاغي،دار غريب للطباعة والنشر،القاهرة،(د.ت)،سنة 1998،ص:70.
[2] يُنظر:المرجع نفسه،الصفحة نفسها.
[3] يُنظر:المرجع نفسه،ص:71.

كما تناول علماء البلاغة أيضاً النداء وخروجه عن أصله،وهذا سيبويه قد سبقهم للحديث عنه فيقول(هذا باب ما يكون للنّداء فيه مضافاً إلى المنادى بحرف الإضافة،وذلك في الاستعانة والتعجب **كقول مهلهل:**

يَالبكْرَ انْشُرْ والِيَ كُلَيْبَا يَالبكرَ أَيْنَ أَيْنَ الفِرَار.[1]

فاستغاث بهم لأنَّ(ينشروا له كليباً) وهذا منه وعيد وتهديد،وأمَّا قوله(بالبكر أين الفرار)فإنَّما استغاث بهم لهم،أي: لِمَ تفرون استطالة عليهم ووعيداً"،[2]بمعنى أنَّ النداء في هذا البيت لم يستعمل في معناه وإنَّما خرج للاستغاثة،وما تتضمنه من وعيد وتهديد ولا شك أنَّ حمل النداء هنا على الاستغاثة عند سيبويه ظاهر الفساد،وسواء كان النداء هنا للاستهزاء أو الاستغاثة،فإنَّه قد خرج عن أصل وضعه،وقد نبّه سيبويه على هذا.

وبعد هذا العرض والتّمحيص يمكننا أن نستنتج الجهود التّي قدّمها سيبويه من أجل خدمة البلاغة العربية،ولذلك نجده قد نبّه إلى الألوان البلاغية وعلى الرّغم من أنَّه لم يضع لشيء منها قاعدة وإنَّما كان يتمثّل لها بالجزئيات فقط.فسيبويه-إذن-قد ساهم مساهمة فعالة في وضع الأساس للبلاغة ممّا جعله يستحق أن يكون له منزلة خاصّة بين العلماء.

المطلب الثاني:عند المبرد(ت285هـ)

[1] المرجع السابق،ص:92-93.

[2] يُنظر:المرجع نفسه،ص:95.

لقد حاول العبّاس بن المبرّد وهو صاحب كتاب(الكامل في اللّغة والأدب)،المتوفى سنة (280هـ)الإشارة إلى أسلوبي الإيجاز والإطناب في كلام العرب،وإلى ما يقع فيه البلغاء من ضرورات تضطرّهم للخروج عن المنهج السّوي الواضح في الكلام،فيقول:"من كلام العرب الاختصار المُفهم،والإطناب المُفَخَّم،وقد يقع الإيماء إلى شيء فيفتي ذوي الألباب عن كشفه،كما قيل:لمحة دالة،وقد يُضطر الشّاعر المفلق والخطيب المُصَقَعُ والكاتب البليغ،فيقع في كلاهم أحدُهم المعنى المُسْتَغلق،واللّفظ المستكره،فغنَّ انْعَطَفَتْ عليه جَنْبَتَا الكلام،غطتا على عواره،وسترتا من شينه،وإنَّ شاء قائل أن يقول:بل الكلامُ القبيح في الكلام الحسن أظهَرُ،ومجَاورته لَهُ أشهر،كان ذلك له،ولكن يُغتفر السّيء للحسن،والبعيد للقريب".[1]

وربَّما كان **أهم ما تناوله المبرد من الأساليب البلاغية:التشبيه وأضرب الخبر:**

فقد لاحظ المبرّد أنَّ في العبارة البلاغية فروقاً طفيفة تخفي على الخاصة،فضلاً عن العامّة فوضع الفروق بينهما،وجعل من كل عبارة منها موضعاً،فقال:"إنِّي لأجد من الكلام العرب حشوا:فهم يقولون:عبد الله قائم،ثمّ يقولون:إنَّ عبد الله قائم،ثمّ يقولون:إنَّ عبد الله لقائم،لألفاظ متكرِّرة والمعنى واحد،فقال:المبّرد :بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ".[2]ويشير هذا القول إلا أ نَّ البلاغين فتحوا لهذه الإجابة فصلاً في علم المعاني سمّوه"أضرب الخبر"وسموا الخبر الأوّل في سؤال الكندي وإجابة المبرد ابتدائياً،والثاني طلبياً،والثالث إنكارياً.

---

[1] يُنظر:محمد رفعت أحمد الزنجير،مباحث في البلاغة والإعجاز القرآن،جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم،دبي،ط1، 1428هـ 2007م،ص:147-148.

[2] المبرد(280هـ)،البلاغة،دار الفكر،بيروت-لبنان،ط1، 1419هـ،ص:53.

وكذلك تحدّث عن التّشبيه وأقسامه،فقال:"التّشبيه جارٍ في كثير من كلام العرب،حتّى لو قال قائلُ:هو أكثر كلامهم لم يبعُدْ".[1]وجعله أربعة أقسام، قال:"والعرب تشبّه على أربعة أضربٍ:فتشبيه مفرط،وتشبيه مُصيب،وتشبيه مقارب،وتشبيه بعيد يحتاج إلى تفسير،ولا يقوم بنفسه،وهو أخشن الكلام،فمن التّشبيه المفرط المتجاوز،قولهم للسخي:وهو كالبحر،والشّجاع هو كالأسد،وللشريف:سما حتّى بلغ النّجم،ثمَّ زادوا فوق ذلك،ومن التّشبيه المصيب:"قول امرؤ القيس،في طوال اللّيل:

كأنَّ الثُرَيَا عُلقتِ في مَصَامِهَا بِأَمْرَاسٍ كتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدلِ.[2]

فهذا في ثبات اللّيل وإقامته".[3]وهو يعني ما اتَّفق النَّاس على صدقه وعدم تجاوزه الحدود المتعارف عليها،وهو على النَّقيض من التَّشبيه المفرطْ الذي يتجاوز الحُدُودْ،ويتخطى ما تعارف عليه النّاس.

والتَّشبيه المقارب عند المبّرد هو التَّشبيه المقلوب،فقد قال:"ومن حلو التَّشبيه،وقريبه،وصريح الكلام،قول ذي الرّمة:

وَرَمْلُ كَأَوَارِكِ العَذَارَى قَطَعْتُهُ وَقَدْ حَلَّلَتْهُ المُظْلِمَاتُ الحَنَادِسُ.[4]

الحَندسُ:اشتداد الظلمة ،وهو توكيد لها ".[5]

وهو يشير إلى أنَّه:التَّشبيه الصريح الذّي يقوم بنفسه،ولا يحتاج إلى تفسير وتأويل.

---

[1] محمد رفعت أحمد الزنجير،مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن،ص:147.

[2] المرجع نفسه،ص149.

[3] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[4] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[5] يُنظر:المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

-كما فصل في الحديث عن بعض أركان التَّشبيه،وفي قوله عن وجه الشّبه "واعلم أنَّ للتّشبيه حدًا،فالأشياء تتشابه من وجوه،فإنَّ يُنظر إلى التَّشبيه من حيث وقع،فإذا شبَّه الوجه بالشّمس فإنَّما يراد الضّياء والرّونق،ولا يراد العظم والإحراق".[1]ففي هذا النَّص نجده يتضمن فكرتين،أولاهما أنَّ الأمرين اللّذين نعقد التَّشبيه بينهما اتّفاق في بعض الوجوه أو الصفات،واختلاف في أخرى.

وتعرّض أيضاً للكنَّاية،**فقال**:"والكلام يجري على ضروب،فمنه ما يكون في الأصل لنفسه،ومنه ما يكنّى عنه بغيره،ومنه ما يقع فيكون أبلغ في الوصف"،[2]بمعنى أنَّ المبرد جاء بثلاثة أضرب من الكناية،وقد تمثل **الضرب الأوّل**:في التعميمة والتَّغطية-وهو نوع من الكنايَّة اللُّغويَّة"،**والضرب الثّاني** هو العدول عن اللّفظ الخسيس إلى غيره ممّا يدلّ على معناه هو نوع من الكنّاية الاصطلاحية-أمّا **الضرب الثالث**:هو اشتق منه الكنية فهو الكناية باب التّسمية،لا أكثر من ذلك.

وقد أشار **في كتابه"الكامل"**إلى الكثير من المسائل البلاغيَّة نجده يستشهد أحياناً *بالآيات* القرآنية،وأحياناً أخرى بالنَّماذج الشّعرية ،فذكر الإيجاز والإطناب،واشترط على أن يكون الإيجاز مفهوماً،وذلك بأنّ يعلمه السّامع،ومثال قوله عز وجلّ:[**ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ**].[3]والمعنى إذا كالو (لهم)أوزنوا(لهم).

[1] المبرد،الكامل في اللغة والأدب،تحقيق:زكي مبارك وأحمد محمد شاكر،(د.ت)

[2] المصدر نفسه،ج2،ص:674.

[3] سورة المطففين،الآية:02.

وكذلك وقف أمام أسلوب الالتفات،فقال:"والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشّاهد،ومخاطبة الشّاهد إلى مخاطبة الغائب،وذلك مثل قول عنترة:

شَطَتْ مَزَارَ العَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسْراً عَلَى طَلاَبِكَ ابْنَةُ مَخْرَمِ.[1]

وعلّق عليه بقوله:فكان يتَّحدَث عنها ثمّ خاطبها"،[2]"بمعنى أنَّ في هذا الأسلوب والقوة والجمال.

وكذلك تحدّث عن المجاز العقلي ولم يسميه،ولكن مازال عنده بمعناه العام:أي مذاهب العرب في كلامها،وذكر أمثلة وعلّق عليها بما ينطبق على المجاز المرسل،فيقول في قول الرّاجز يصف غيمًا:

أَقْبِلْ فِي المَتْنِ مِنَ رَبَابَه أَسْنِمَةَ الأَبَالِ مِنْ سَحَابَه.[3]

أراد أنَّ ذلك السّحاب ينبت ما تأكله الإبل فتصير شحومها في أسنمتها...".[4]

وهكذا كان حديث المبرد عن بعض فنون البيان،كالتشبيه والكناية،حديثاً مفصّلاً يدلّ على إدراك القول في عصر أبي العباس إدراكا واضحاً مميِّزاً لتلك الفنون.كما كان له:في كتاب "الكامل" عامّة ثروة بلاغية قيّمة،أفاد منها من جاء بعد أبي العبّاس من العلماء.

المطلب الثالث:الفرّاء(ت207هـ)

هو أبو زكريا يحي بن زيّاد بن عبد الله بن منظور الديلمي نسبة إلى الدّيلم وهو إقليم في البلاد الفارسية،وقد سمّي بالفراء ليس لأنَّه كان يفري الكلام،بل لأنَّه كان:يحسن تقطيعه وتفصيله.[1]وهو

[1] المبّرد،الكامل في اللّغة الأدب ج2،ص:40.

[2] المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه،ص:49.

[4] المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

صاحب كتاب"**معاني القرآن**"،وقد عرض في ثنايا هذا الكتاب لبعض المباحث البلاغيَّة"إذ عُني فيه بشرح أي الذّكر الحكيم شرحاً بسط فيه الكلام في التّراكيب وتأويل العبارات،وتحدّث فيه عن التّقديم من الألفاظ والتَّأخير،والإيجاز والإطناب التّي تخرج إليها بعض الأدوات كأداة الاستفهام،كما تحدّث أو قل أشار إلى بعض الصّور البيانية،مثل التَّشبيه والكناية والاستعارة"[2]،أي أنَّ الفراء تحدّث عما في الآيات من استعارة وتشبيه وكنَّاية وتقديم وتأخير وحذف وتكرار وإضمار...وغيرها من الألوان البلاغيَّة.

وقد بلغ الفراء منزلة عاليَّة بين علماء عصره حتّى برز عليهم جميعاً،ولذلك فإنَّه كان يُعَدُّ زعيم المدرسة الكوفيَّة في النَّحو بعد الكسائي،ويُعتبر كتابه "معاني القرآن" من أهم الكتب التّي ألّفها الفرّاء فقد جمع في النّحو واللّغة والتّفسير والرّواية،حتَّى عَدُّوه موسوعة للعلوم التّي يهتم بها المتعلمون في ذلك العصر.كما تطرّق الفرّاء في كتابه هذا إلى كثير من المباحث البلاغيَّة التّي يدخل بعضها في علم المعاني،وبعضها في البيان،والأخر في البديع.[3]

---

[1] عبد العزيز المعطي عرفة،قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربيَّة،عالم الكتب،بيروت،ط1،سنة1405هـ-1985م ص:119.

[2] شوقي ضيف،البلاغة تطور وتاريخ،دار المعارف،القاهرة،ط3،(د.س)،ص:29.

[3] ينظر:عبد القادر حسن،أثر النُّحاة في البحث البلاغي،ص:133-134-136.

ونجده أيضاً يُعالج المشاكل التّي عالجها أبو عبيدة تقريباً غير أنَّ ثقافة الفرّاء النَّحويَّة قد ظهرت في كتابه بشكل واضح،فهو يسير على منهج أبو عبيدة فيشرح بعض الألفاظ والآيات القرآنية وبعض الأساليب البيانية والتَّراكيب الإعرابيَّة.[1]

-ومن بين النّماذج التّطبيقية للفرّاء والتّي تدلّ على منهجه،إذ يقول:* عند قوله تعالى[**ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢**].[2]

فقد اجتمع الفرّاء على رفع الحمدٌ،وأمَّا أهل البدو فمنهم من **يقول**:الحَمْدُ لِلَهِ،ومنهم من **يقول**:الحَمْدُ لِلهُمْ،ومنهم من **يقول**:"الحمدُ لُله،فيرفع الدّال واللاّم".

وبعد ذلك يتناول قراءات البدو،وهذه ميزة من ميزات كتابه الذّي عني بوجوده القراءات وتأويلها والاستدلال بها.

وهذا مثل **قوله تعالى**:[**مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ۝١٧**].[3]

[1] المرجع السابق ،ص:120.

[2] سورة الفاتحة،الآية:02.

[3] سورة البقرة،الآية:02.

فقال مبيّناً أنَّ التَّشبيه للفعل لا لصاحبه:"فإنَّما ضرب المثل-والله أعلم-للفعل لا لأعيان الرّجل،وإنَّما هو مثل للنفاق،ففي قوله تعالى:[**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا**] ،[1]ولم **يقل**:"الذين استوقدوا".[2]

كما تناول أيضاً الكناية وقد ورد التَّعبير عنها في مواضع عديدة من الكتاب،فمثلاً في:

***قوله تعالى**:[**وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا** ﴿٢٣٥﴾]،[3]ويروي الفرّاء عن ابن العبَّاس،فقال:السرّ في هذا الموضع النّكاح،وأنشد لا امرئ القيس:

أَلاَ رَعَتْ بِسَبَاسَةٍ أُنْثَى كَبُرَتْ وَأَلاَ يَشْهَدُ السِرُّ أَمْثَالي.[4]

فنجد أنَّ الكناية قد تناثرت في صحف كثيرة من كتاب الفرّاء"معاني القرآن"،ولو استعرضنا الأمثلة التّي عبَّر عنها بلفظ الكناية،لوجدنا معظمها يدلّ على أنَّ الكنَّاية عنده معناها الضّمير وهو لغوي،لأنَّهم يضمرون الشّيء أو يكنون عنه إذا أرادوا إخفاء،ففي **قوله تعالى**:[**فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ** ﴿٧٩﴾]،[5]إذ أنَّ (الهاء) كناية من القرآن(فأتو بسورة من مثل

[1] سورة البقرة،الآية:17

[2] يُنظر:محمد رفعت أحمد الزنجير،مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم،ص:134-135.

[3] سورة البقرة:الآية:235.

[4] الفراء،معاني القرآن،عالم الكتب،ط3، 1403هـ-1983م،ج1.،ص:153

[5] سورة الحجر،الآية:79.

القرآن)والواقع أنَّ الفرّاء وإن غلب عليه فهم الكنَّاية بمعنى الضمير بأي صورة من صوّره سواء كان بارزاً أو مستتراً،إلاَّ أنَّه لم يقتصر على ذلك،فقد لاحظ للكنَّية معنى أخر هو ذلك المعنى الذّي تلاحظ فيه اللّزوم بين الشّيئين".[1]

ا تعرّض أيضاً للتشبيه في آيات من القرآن الكريم،وتكلّم عن المجاز،وأشار إلى ما يسمى بالاستعارة ،ولم ينُّص عليها كما كان في قوله تعالى:[وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾] ،[2]يقول بطريق لهم يرون عليها في أسفار ،فجعل الطّريق إماما لأنَّه يؤم ويتبع.

وكذلك في قوله تعالى:[فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾]،[3]فيقول:شبّه ن السماء بتلون الوردة،وشبّهت الوردة في اختلاف ألوانها بالدّهن واختلاف ألوانه،حيث شبّه السّماء بالوردة أو الوردة بالدّهن في التّلون فذكر الطرفين والوجه"،[4]أي أنّه يشبّه السّماء بالدّهن في الحمرة وهنا المفردان مطلقان،وهذا يسمى تشبيه مفصل.

وبعد التَّفصيل في بعض النّماذج للألوان البلاغيَّة المختلفة عند الفراء يمكن القول بأنَّه قد طرق أبواباً بلاغيَّة مختلفة في كتابه**"معاني القرآن"** كما كان له أثر بارز في مختلف الفنون البلاغيَّة،حتّى إنّنا نعدّه مبتكراً هذه الفنون لأنَّه أضاف إليها الشيء الكثير بهما جعلنا ننسبها إليه دون غيره.

---

[1] يُنظر:الفراء،معاني القرآن،ج1،،ص:319-425.

[2] سورة الحجر،الآية:79.

[3] سورة الرحمن،الآية:37.

[4] محمد حسين أبو موسى،البلاغة القرآنية في تفسير الزّمخشري وأثرها في الدراسات البلاغيَّة،دار الفكر العربي،(د.ط،د.س) ص:141.

المطلب الرَّابع:الجاحظ(ت255هـ)

يُعَدُّ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت255هـ)أوّل من تصدّى للكتابة في مسائل البلاغة بعد الإسلام،فهو واضع اللّبنات الأولى للبيان بكتابه الموسوعي العظيم"البيان والتبين"،[1]ولا يمكن إغفال جهوده في الدّراسات النّقدية والبلاغيَّة فهي مرحلة حاسمة من مراحل تطوّر تلك الدّراسات،بل يَدٌّ في أحيان كثيرة أنّها البدء المنظم لتدوين البلاغة والنَّقد في التّراث العربي،حيث ألّم بكثير من المسائل المؤثّرة في تكوين البلاغة والنَّقد.[2]وللجاحظ الفضل الكبير في تأسيس البلاغة العربيَّة التّي يقوم النَّقد العربي على كثير من أصولها،وهو أوّل أديب عربي توسّع في دراسة هذا العلم،وأعطاه الكثير من نشاطه الأدبي والفكري.فمؤلفاته نموذج واضح لامتزاج البلاغة والنَّقد،وكذلك"لأنَّه جمع طائفة من النّصوص توضّح لنا توضيحاً حسناً كيف كان العرب يتصوّرون البيان العربي في القرن الثاني والنّصف الأوّل من القرن الثالث للهجري،وتعطينا صورة مجملة لنَّشأة البيان العربي"،[3]أي أنَّ البيان عن الجاحظ قد بلغ ذروة نضجه في ذاك العصر لذلك كان هدفه منها جمع النّصوص هو إعطاء صورة مجملة لكيفية نشأة البيان العربي.

ولذلك نجده في كتاب "البيان و التبين"يتناول جملة من مسائل الأدب والبلاغة والنَّقد والتّي جاءت بشكل متناثر في كتابه،فتحدّث عن لفظ أديب،وكلمة أدب،والازدواج الإطناب والألفاظ

---

[1] شفيع السيد،البحث البلاغي تأصيل وتقييم،دار الفكر العربي،(د.ت،د.س)،ص:64.

[2] محمد كريم الكوّاز،البلاغة والنَّقد المصطلح والنَّشأة والتجديد،مؤسسة الانتشار العربي،بيروت-لبنان،ط1، 2006م،ص:204.

[3] يُنظر:شفيع السيد،البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم،ص:64.

والحروف،والإيجاز،البديع،البلاغة،البيان والتَّبيين،والخطابة،والدّعاء،والرّجز،والرّسائل،والسّجع والفصاحة والقصص..الخ.[1]

ولعلّ من أهمّ أصول التّفكير البلاغي التّي تضمنّها كتاب(البيان والتَّبيين)تلك الفكرة التّي صارت فيها بعد حجر الزواية في مفهوم البلاغة عن البلاغيين المتأخرين،وحولها دارت مباحث علمٍ من علومها الثلاثة حسب تقسيماتهم،وهو ما يسمىّ"**علم المعاني**"ويريد به فكرة "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"،[2]أي لكلّ مقام مقال.وكذلك من المصطلحات البلاغيَّة المهمة التّي سبق الجاحظ إليها،وأعطى لها دلالتها التّي لا يكاد يختلف فهم البلاغيين لها عّما قاله هو من قِبَلِ الاستعارةِ،وقد جاء ذلك في سيّاق شرحه ،**لقول الشاعر**:

يَا دَارٌ قَدْ غَيَّرَهَا بَلاَهَا كَأَنَّمَا بِقَلَمٍ مَحَاهَا

أَخْرَ بِهاَ عُمْرَانُ مَنْ بَنَاهَا وَكَرَّ مُمْساها على مَغْنَهَا

وطَفِقَتْ سَحَابَةُ تَغْشَاهَا تَبْكي عَلَى عِرَاصهَا عَيْنَاهَا[3]

فقد **قال**:**قوله**:ممساها،يعني مساءها .ومغنها:موضعها ،ظلت تبكي على عراصها.عينها هنا للسّحاب،وجعل المطر،بكاء من السّحاب على طريق الاستعارة،وتسميّة الشّيء باسم غيره قام مقامه.[1]

---

[1] محمد رفعت أحمد الزنجير،مباحث في البلاغة إعجاز القرآن الكريم،ص:63.

[2] يُنظر:المرجع نفسه،ص:67.

[3] المرجع السابق،ص68.

وكذلك تناول الإطناب والإيجاز وتنزيلهما في الكلام مراعاة لحالة السَّامعين، فهو لم يُعَينَ بالإيجاز قصر الألفاظ وقلّة كميتها،وإنَّما إد مساواتها الدّقيقة للمعاني دون زيّادة،وقد يمتد الكلام صفحات ويسّمى الكلام موجزاً ويقول:وإنَّما ينبغي للمتكلّم أن يحذف بقدر مالا يكون سبباً لإغلاقه،ولا يردّد،وهو يكتفي في الإفهام بشطره،فما فضل عن المقدار فهو الخطل (**الغلط**)"،[2]وواضح في هذا النَّص أنَّهُ ينكر أن يكون الإيجاز بقصر الكلام كما ينكر أيضاً أن يكون الإطناب باتساع القول من حيث هو،فقد يكون الاتّساع فيه من باب الإيجاز،وقد يكون الكلام قصيراً ومع ذلك يُعَدُّ مطنباً،فالعبرة هنا بالمواقف والمقامات.

كما أشار الجاحظ أيضاً،إلى بعض القضايا البلاغيّة العامّة،كالعيوب اللّسانية التّي جاءت عنده تحت عنوان"ذكر الحروف التّي تدخلها اللّثغة"،[3]كما تعرَض لها في حديثه عن عيوب الخطباء،ونبّه على وجوب مراعاة مقتضى الحال،وقسّم الكلام إلى طبقات تتناسب مع طبقات النّاس،فقال:وكما لا ينبغي أن يكون اللّفظ عامّيًا ولا ساقطًا،فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشيًا،إلاَّ أن يكون المتكلّم بدويًّا أعربيًّا،فإنَّ الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من النّاس،كما يفهم السّوقي رطانة السّوقي،وكلام النّاس في طبقات،كما أنَّ النَّاس أنفسهم في طبقات.فمن الكلام الجزل والسّخيف،والمليح والحسن،والقبيح والسّمج،والخفيف والثَّقيل،وكلّه عربي،وبكلٍّ قد

---

[1] الجاحظ،البيان والتبيين،تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون،(د.ت-د.ط)،ج1،ص:136.

[2] يُنظر:محمد كريم الكواز،البلاغة والنَّقد،ص:207.

[3] الجاحظ،البيان والتبيين،ج1،ص:34.

تكلَّمُوا،وبكلٍّ قد تمادحوا وتعايبُوا..."،[1]وهو يشير في هذا القول إلى أنَّ العبرة بالمعنى والمقام وأحوال المستمعين النَّفسيَّة،لا بالألفاظ من حيث هي في ذاتها،وهو حسن يتوقف على المعاني من جهة وعلى أحوال السامعين من جهة ثانية ومدى مشاكلتها لذلك جميعه.

أمَّا في حديثه عن الإيجاز في القرآن الكريم،فنجده يقول:"ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن،لتعرف بها الفصل مابين الإيجاز الحذف،وبين الزّوائد والفضول والاستعارات،فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز،والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة،على الذّي كتبه لك في باب الإيجاز وترك الفضول،فمنها قوله حين وصف خمر أهل الجنَّة،ففي:

قوله تعالى:[**لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ** ﴿١٩﴾].[2]وهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدّنيا"،[3]بمعنى أنَّ اللفظ يكون أقل من المعنى،وهذان اللّفظتان تجمعان كل معاني عيوب خمر لأهل الدّنيا.

وكذلك بيَّن لنا أسرار البلاغة والوقوف على مواطن الجمال،بين عالمٍ بالكسب ،فعرّف البلاغة وراح يؤلّف فيها ويجمع القواعد والأحكام.

ولذلك صحّ للدكتور شوقي ضيف أن يقول:"ولعلّنا لا نبالغ إذا قلنا بعد ذلك كُلُّه إنَّ الجاحظ بعد،غير منازع،مؤسس البلاغة العربية،فقد أفرد لها لأوّل مرّة كتابه(**البيان والتبيين**)،ونثر فيه كثيراً من

[1] المصدر نفسه،ج1،ص:144.

[2] سورة الواقعة،الآية:19.

[3] المرجع السابق نفسه،ص:70.

ملاحظات معاصريه وتعمّق وراء عصره،فحكى أراء العرب السّابقين،والتمس أراء بعض الأجانب أو قلّ سجّلها.وقد مضى ينشر في كتابه(**الحيوان**) تحليلات لبعض الصّور البيانية في الذّكر الحكيم.وليس من شكّ في أنَّ كتابه المفقود الذّي صنّفه في نَّظم القرآن كان يشتمل على كثير من ملاحظاته في شكل قوانين محدّدة بالتعريفات الدّقيقة،ولكنّه صوّرها في أمثلة متعدّدة بحيث تمثّلها من خلفوه".[1]ويدلّ هذا القول على أنَّ الجاحظ كانت له إسهامات كبيرة في مجال البلاغة،وكذلك تطرّقه لكثير من الألوان البلاغية في كل من "**البيان والتبيين**"و"**الحيوان**"وكتابه المفقود"**نَّظم القرآن**".

وفي الأخير نجد أنَّ الجاحظ قد ألمّ في كتاباته بالصور البيانيَّة المختلفة وبكثير من فنون البديع،غير أنَّه لم يسبق ذلك في التعريفات والتحديدات،فقد كان مشغولاً بإيراد النَّماذج البلاغيَّة،وقلمَّا عني بتوضيح دلالة المثال على القاعدة البلاغيَّة التِّي يقرِّرها.

المبحث الثّاني:البلاغة العربيَّة عند النّقاد

المطلب الأوّل:ابن المعتز

يأتي ابن المعتز في أواخر الربع الثالث من القرن الثالث للهجري،فيضع كتابه"البديع" والذّي يُعَدُّ أوّل كتاب في البلاغة العربيَّة لم يجاوز في موضوعاته وفنونه دائرة البحث.و[2]كلمة "البديع"التِّي

[1] مازن مبارك،موجز في تاريخ البلاغة،ص:60.

[2] المرجع السابق، ص:70.

وضعت عنواناً لهذا الكتاب ليست جديدة مستحدثه،بل كانت مستعملة في لغة العرب من قبل،وكانت تدلّ على طريف مستحسن.[1]

ولذلك كان كتاب"**البديع**"هو أوّل كتاب استقرّت فيه الصّياغة النّظرية لبعض الفنون البلاغيَّة،وذلك أنَّ الذين سبقوا "ابن المعتز"كانوا يتعرّضون للموضوعات البلاغيَّة وهم بصدد أبحاث قرآنية ولغوية،أمَّا هو فقد عمد إلى التَّأليف البلاغي عن القصد،وجعل من البلاغة غاية تأليفه.

وقد **صرّح "ابن المعتز**"بسبقه إلى التأليف البلاغي،فيقول:"وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد"،[2]وهو يعني بذلك أنَّه أوّل من جمع فنون البديع وألّف فيها كتاباً،وهو فضل له لا ينكر.

ومن الواضح أنَّ ابن المعتز قد ألّف كتابه رداً على عل الذّين ابتكروا ألوان البديع،ليثبت للعلماء والشّعراء والنّقاد أنَّ البديع لم يكن من ابتكار المحدثين،وإنَّما هو الشّيء سبق إليه السّابقون من الشّعراء منذ العصر الجاهلي،كما نلحظ البديع في القرآن الكريم والأحاديث النبوية وكلام الصحابة،حيث يقول:"إنَّما غرضنا في هذا الكتاب تعريف النَّاس أنَّ المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع"،[3]وفي ذلك تأكيد لأصالة البلاغة العربية ونشوئها في رحاب الأمّة العربية.

وأنَّ البديع كان من ألوان البلاغيَّة التّي تناولها القدماء والبديع عند ابن المعتز لم يقصر كتابه على هذه الفنون الخمسة،وإنَّما ذكر بعدها ثلاثة عشر فنًّا قال إنَّها من محاسن الكلام،وترك لمن يشاء أن يدخلها في فنون البديع،وقد عدّ منها:الالتفات،والاعتراض،وتأكيد المدح بما يشبه الذّم،وتجاهل

---

[1] عبد العزيز المعطى عرفة،قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة،ص:25.

[2] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[3] يُنظر:المرجع السابق،ص:70.

العارف،وحسن التَّشبيه،والتَّعريض،والكناية...وغيرها.فقد كان موقفه من البديع هو عدم الإكثار منه ويظهر لنا ذلك في مثل قوله عند القدماء الذّين اطّلع على أدبهم"،وإنَّما كان يقول الشّاعر من هذا البيت والبيتين في القصيدة،وربَّما قُرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع،وكان يُستحسن ذلك منهم إذا أتى نادراً،ويزداد حظوة بين الكلام المُرسل.[1]

ويَتضح في كتاب البديع"لابن المعتز،الدّقة في التّقسيم،فقد أقامه على نوعين من الفنون سمى الأول البديع،وهو الاستعارة،والتَّجنيس،والمطابقة،ورد أعجاز الكلام على ما تقدّمها،والمذهب الكلامي،وهي الفنون التي ثارت حولها الخصومة بين الشعراء والنّقاد.وسمّى الثاني محاسن الكلام وهي:الالتفات،والاعتراض،والرجوع وحسن الخروج،وتأكيد المدح بما يشبه الذّم،وتجاهل العارف،والهزل يراد به الجد،وحسن التَّضمين،والتّعريض،والكناية،والإفراط في الصفة،وحسن التشبيه،ولزوم مالا يلزم،وحسن الابتداء.[2]وكأنَّ ابن المعتز حين وضع بعض هذه الألوان تحت اسم البديع والأخرى ن الكلام،كأنّ بهذه التَّفرقة في التسمية يفرق بين هذه المجموعة وتلك.ولعله لذلك قصد قصداً،ليبين أنَّ ما يطلق عليه اسم البديع يقصد به الابتدائي على حين الأنواع الأخرى التيّ تحمل محاسن الكلام،لا يقصد بها إلاَّ الحسن والجمال.ولا شك أنَّ الحسن والجمال أقل من الإبداع.

ولهذا مهما يكن من شيء فإنَّ كتاب ابن المعتز هو أوّل مؤلَّف في البديع،وذكر فيه الكثير من الألوان البلاغيَّة وكان له الأثر البعيد المدى في حركة النَّقد التّي نشطت في القرن الرّابع الهجري،أمَّا أنَّه

[1] المرجع نفسه،ص:74.

[2] المرجع السابق ،ص:43.

لم يقلل من شأنه أنَّ كتاب البديع كانت معروفة عند غيره من العلماء السابقين،ومن ثمّ نال ابن المعتز تقدير العلماء وحظى كتابه بالثناء.

المطلب الثاني:قدامة بن جعفر(ت337هـ)

ومن نظر في"نقد الشّعر"لقدامه بن جعفر(ت337هـ)،يرى أنَّ علماء البلاغة جعلوا قدامه بن جعفر من أئمتهم،ومن روّاد التّأليف البلاغي،وهذا ما أّدى إلى امتزاج النّقد بالبلاغة في كثير من المؤلّفات العربية،فقد وصفه العلوي مؤلّف كتاب(**الطّراز**)"بأنَّه جوَّاب البلاغة،ونقّادها البصير،والمهيمن على معانيها،[1]فقدامه تناول الكثير من المباحث البلاغيَّة،ووقف عندها يعرّف ويحلّل ويمثّل،وهو لم يتناولها على أنّها أبحاث في البلاغة ،وإنّما تناولها على أنّها شروط تصل بالأسلوب –إذا توفرت فيه– مباحث الجودة والجمال.

كما اتّبع في كتابه منهجاً عقليًا هو " ناء هيكل منطقي تصوّره قدامه بعقله المجرّد،وقد جارى قدامه هذا العقل الشّكلي إلى نهاية شوطه غير ناظر إلى حقائق الشّعر ولا متقيّد بها"[2]،بمعنى أنَّه حصر المسائل البلاغية ونقل النّقد العربي إلى موضوعيَّة كانت قبله مضطربة متردّدة يخالطها كثير من النّقد الذّاتي.

والملاحظ عند قدامه "أنَّه عدّ التشبيه من بين أغراض الشّعر،أي اعْتَبَرَهُ معنى من الشّعر وغرضاً من أغراضه كالمدح والهجاء وهو يحدّد معنى التّشبيه في البداية كشأنه في كل مصطلح

[1] المرجع السابق،ص:234.

[2] أحمد مطلوب ،البلاغة عند السكاكي،منشورات مكتبة النَّهضة ،بغداد،ط1،سنة 1384هـ-1964،ص:90.

يستخدمه،فيقول:"أحسن التّشبيه وهو ما أوقع بين الشّيئين اشتراكهما في الصّفات أكثر من انفرادهما فيها حتّى يدنى بهما إلى حال الاتّحاد"،[1]أي أنَّ قدامه تطلّب ببساطة أن يكون وجه الشّبه جامع بين الطرفين شديد الوضوح والبروز،وألا يكون على قدر من الغرابة والتّطرف.ومن ثمّ فإنّه يستحسن تلك التّشبيهات التّي يكون وجه الشّبه فيها حسّي شديد الوضوح والتجدّد،حتّى ولو لم يكن وراء هذا التشابه الحسّي من الإيحاءات النَّفسيَّة أو الوجدانيَّة،**مثل قول يزيد بن الظئريَّة:**

فَأَصْبَحَ رأْسِي كَالصخِيْرَةِ أَشْرَقَتْ عَلَيْها عِقَابُ،ثُمَّ طَارَتْ عِقَابُهَا.[2]

هنا يشبّه رأسه قبل أن يُحلِقُ مقدّمتها بصخرة وعليها عقاب،وبعد أنْ حَلَّقَهَا بهذه الصخرة وقد طارت من عليها العقاب.وواضح أنَّه لا يجمع بين رأسه والصخرة سوى هذا الشبه الشّكلي،لكن قُدامه يعجب به إعجاباً كبيراً لأنّه حقق شروط التَّشبيه الجيد عنده،وهي الجمع بين شيئين واشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها،هذا بالإضافة إلى أنَّ الشّاعر-في رأي قدامه-"أحسن أيضاً في تشبيه رأسه بعد الحلق بصخرة ،وذلك أنَّه قريب منها إلى الضخامة والملامسة واللون المائل إلى الخضرة".[3]

كما تناول قدامه أيضًا عيوب عناصر الشعر مفردة ومركبة،وقد تعرّض فيها لبعض القضايا البلاغيَّة،مثل قضيَّة الاستعارات الغريبة الخارجة على المألوف وقد تحدّث عن هذه القضيَّة في تناوله مصطلح (المعاظلة) التّي اعتبرها من عيوب اللّفظ في الشّعر،ومفهوم المعاظلة عنده هي"مداخلة الشّيء

---

[1] يُنظر:على عشري زايد،البلاغة العربيَّة تاريخها ومصادرها مناهجها،مكتبة الشاب،(د.ط)،القاهرة،1982،ص:80.

[2] المرجع نفسه،ص:81.

[3] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

ن الشّيء،وهو يُفَسّرها على أنّها دخول الشّيء في غير جنسه المعتاد"،ويرى أنَّ ذلك لا يكون إلاّ فيما سماه"فاحش الاستعارة"،ويختار قدامه مجموعة من نماذج الاستعارة الفاحشة عنده لغرابتها،[1]وعدم نها على المألوف،ويعبّر عن رفضه لها،ويُفَضِل عليها تلك الاستعارات القريبة التّي يمكن ردّها بسهولة إلى أصل تشبيهي،ويكون"مخرجها مخرج التَّشبيه"على حدّ تعبيره،**مثل بيت امرئ القيس:**

فَقُلْتُ لَهُ لَمَا تَمَطَّى بُصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ[2]

"كأنَّه أراد أنَّ هذا اللّيل في تطاوله كالذّي يتمطى بصلب،لأنَّ له صلبًا،وهذا مخرج لفظه إذا تؤمل"،و[3]كأنَّه ينكر على امرئ القيس أن يشخص الليل فيجعله له صلبًا وإعجازًا وكلكلا،فيدفع عنه هذا مفسِّراً قوله بأنَّه يشبه اللّيل المتطاول بشيء يتمطى بصلبه،ولا أنْ يجعل لليل صلباً.

ويمكننا القول أنَّ هذه أبرز جهود"قدامه" البلاغيَّة في كتابه(نقد الشّعر)،وهي كما اتّضح جهود على قدر كبير من الخطورة والأهميَّة سواء من ناحيَّة القضايا البلاغيَّة التّي أثارتها،والتّي جعلته واحدًا من أهم المصادر النَّقدية والبلاغيَّة على سواء.فمحاولته البحث البلاغي والنّقدي هو الموضوعيَّة العلميَّة لهما، بالإضافة إلى كون الكتاب نموذجاً فذّا لامتزاج البلاغة بالنَّقد، ويعدّ نقد الشّعر من أهم الكتب في تاريخ البلاغة والنَّقد الأدبي القديم على سواء.

[1] المرجع نفسه،ص:83.

[2] المرجع نفسه،ص84.

[3] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

المطلب الثالث:ابن رشيق القيرواني(ت463هـ)

إنَّ ابن رشيق القيرواني هو صاحب كتاب"العمدة في صناعة الشّعر ونقده"،والمتوفى سنة(463هـ)،نجد أنَّ كتابه(العمدة)يتّصف عامّة بما تتّصف به طائفة الكتب الأدبيَّة التّي امتزجت البلاغة فيها بالنّقد حتّى لم يعد الكتاب منها لأحد الفنّين أكثر ما هو للفن الأخر،على أنَّ كتاب(العمدة)بما امتاز به من استيعاب لفنون البلاغة وأقوال المتقدّمين فيها،يصلح أن يكون حلقة في تاريخ التّأليف البلاغي.أو مرآة لما وصل إليه علم البلاغة حتّى عصر مُؤَلِّفه.[1]

وإذا نظرنا في كتاب"ابن رشيق" نجده يقف عند البلاغة فيستعرض كلّ ما كان معروفاً من فنونها حتّى عصره،فيجعل لكل من تلك الفنون باباً خاصًّا به،فيكون عنده-على سبيل المثال-لا الحصر،باب البلاغة،وباب الإيجاز،وباب البيان،وباب المخترع والبديع،وهو يعترف في هذا الباب الأخير بفضل"ابن المعتز"وسَبْقِهِ إلى التّأليف في البديع،ويكون عنده باب المجاز،وباب الاستعارة،وباب التّمثيل،وباب التَّشبيه،وباب الإشارة،وباب التَّجنيس...وغير ذلك من أبواب الفنون البلاغيَّة والقضايا النّقدية.[2]

وبذلك تناول معظم أبواب البلاغة في كتابه(العمدة) وذكر بعض المصطلحات البلاغيَّة،ممّا يمكن أن يجعل كتابه مندرجاً ضمن كتب البلاغة العربية والنّقد الأدبي،ولكنّه لم يقسّم البلاغة علوماً،بل ة ابن المعتز في سرد أبوابها ممتزجة مع أبواب الأدب،ودَرَسَ كلّ باب على

[1] يُنظر:مازن مبارك،موجز في تاريخ البلاغة،ص:86.

[2] المرجع نفسه،ص86-87.

حدة.ففي باب التّشبيه يعرّفه قائلاً:"التَّشبيه صفة الشّيء بما قاربه أو شاكله من جهة واحدة لا من جهات كثيرة،لأنَّه لو ناسبه مناسبة كلّية لكان إيّاه،ألا ترى أنَّ قولهم"خدّ كالورد"إنّما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه"،[1]وهذا ما يوحي إلى أنَّه يأتي من الشيء الواحد بأشباه عدّة،أي مشاركةٍ أمرٍ لأخر في معنى.

كما تناول اللّفظ والمعنى وذكر العلاقة بينهما ومدَى ارتباطهما ببعضهما البعض"فاللّفظ جسم وروحه المعنى،وارتباطه به كارتباط الروح بالجسد يضعف بضعفه ويقوي بقوته فإذا سلم المعنى واختل بعض اللّفظ كان نقصاً للشّعر،وهجنه عليه،كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك،من غير أن تذهب الروح،وكذلك إنَّ ضعف المعنى واختل بعضه كان اللّفظ من ذلك أو فرُ حَظْ،كالذّي يعرض للأجسام من مرض بمرض الأرواح "،[2]وهذه النَّظرة لا بأس بها لا سيّما بعد أن تعصب فريق للفظ وتعصب للمعنى آخرون،فنجد أنَّ ابن رشيق: د قرَّر أنهما متلازمان لا ينفصلان لأنَّ اللّفظ جسم وروحه المعنى.

وتحدّث عن البديع وفنونه ذاكراً أنَّ أوّل من صنّف فيه ابن المعتز،وكنّا قد تحدّثنا عنه فيما سبق ونراه يستهل فنونه بالمجاز ويؤكد على أنَّ المجاز أبلغ من الحقيقة،ولا يلبث أن يقول إنَّ البلاغين خصُّوا به باباً بعينه،وذلك:"أنَّ يسمّي الشيء باسم ما قاربه أو كان منه بسبب"،**وينشد من أمثلة"ابن قتيبة"،كقول الشّاعر:**

---

[1] يُنظر:محمد رفعت أحمد الزنجير،مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم،ص:86-87.

[2] المرجع نفسه،ص:202.

إذا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانَا غِضَابَا.[1]

إذا أراد بالسّماء المطر لقربه من السّماء،وقال:"رعيناه،والمطر لا يُرعى ولكنَّه أراد النبت الذّي يكون عنه،فهذا كلّه مجاز"[2] وقد أدخل البلاغيون المتأخرون هذا المثال في باب المجاز المرسل،على أنَّ الباب لم يتّضح في نفس ابن رشيق،فقد أدخل فيه أمثلة من الاستعارة والتّشبيه والكناية.

لهذا نجد أنَّ كتاب"**العمدة**"،غزير المادة العلميَّة استوعب معظم ما قيل قبله من مسائل البلاغة والنّقد والأدب،وهو يتناولها بأسلوب سهل مع بعض الشرح والتعليق إذا اقتضت الضرورة ذلك.

المطلب الرّابع:أبو هلال العسكري(ت395هـ)

يُعَدُّ أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري(ت395هـ)،أحد النّقاد الذّين كتبوا في البلاغة،فألّف كتابه المعنون ب"**الصناعتين**"[3]،وهو يعني به صناعة الشّعر والكتابة،لذلك يرى الباحثون المعاصرون أنَّ كتاب"الصناعتين"هو نقطة تحوّل النَّقد إلى البلاغة،وهو بتعبير أخر لم يفصل النَّقد عن البلاغة.[4]

وقد تناول أبو هلال العسكري مباحث كثيرة في البلاغة منها:مبحث التّشبيه،فقد حاول أن يبرز لنا طرائق الشّعراء ومناهجهم في التّشبيه وفق أغراضهم بشكل عام،فقال:"وأمَّا الطّريقة المسلوكة في التَّشبيه،والنَّهج القاصد في التَّمثيل،عند القدماء والمحدثين،فتشبيه للجواد بالبحر والمطر،والشّجاع

[1] شوقي ضيف،البلاغة تطوّر وتاريخ،ص:148.

[2] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[3] هو الحسن عبد الله بن سهل العسكري،أبو هلال،عالم بالأدب،له شعر،نسبته إلى عسكر مُكرم من كوز الأهواز،وفاته بعد (395هـ).يُنظر:الأعلام،(196/2)

[4] محمد كريم الكوّاز،البلاغة والنّقد،ص:252.

بالأسد،والحسن بالشّمس،والقمر والشّهم الماضي بالسّيف،والعالي الرّتبة بالنّجم،والحليم وبالرّزين بالجبل،والحيي بالبكر،والفايت بالحلم،ثمّ تشبيه اللّئيم بالكلب،والجبان بالصِّفرد،والطّايش بالفراش،والذّليل بالنّقد،والنّعل والفَقْع والوتد،والقاس بالحديد والصّخر،والبليد بالحماد..."،[1]أي أنَّ هذه التشبيهات التّي أوردها أبو هلال في نصه هي محاولة منه لإبراز المنهج الذّي اتّبعه القدماء والمحدثين في منح لكل شيء شبيه.

ثمّ نجده يذكر رأيه في المعاني التّي لا يتفاضل فيها الأدباء،ولا تؤثّر في نفوس الذّين يستمعون إلى دبهم أو يقرءونه،فيقول:"وليس شأنَّ في إيراد المعاني،لأنَّ المعاني يعرفها العربي والعجمي،والقروي والبدوي،وإنّما هو في جودة اللّفظ وصفائه وحسنه وبهائه"،[2]وفي هذا النّص إشارة إلى أنَّ الميزة البلاغيَّة تكمن في اللّفظ،وأنَّ المعاني موجودة فهي ملك لكل شاعر وكاتب.

وقد بلغت فنون البديع عنده خمسة وثلاثين فنًّا استغرقت من كتابه خمسة وثلاثين فصلاً،وهو بذلك لا ينكر فضل من سبقه إلى البحث في بعضها"كابن المعتز""وقدامه"وإن كان يشير إلى أنَّه زاد عليهم في ذكر ستة فنون منها.[3]

وتحدّث كذلك عن الألفاظ،إذ يرى أنَّ الميزة البلاغيَّة كامنة في الألفاظ لا يراها في اللّفظ فقط من حيث وضعه اللّغوي أو بمقارنته للفظ أخر،بل يرى أنَّ الميزة البلاغيَّة في الألفاظ تتكون منها العبارة من حيث اختيارها،ووصفها وتأليفها ونظمها،ويقول في هذا المقام:"على أنَّ المعاني مشتركةُ بين

[1] محمد رفعت أحمد الزّنجير،مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم،ص:190.

[2] المرجع السابق،ص:256.

[3] مازن مبارك،موجز في تاريخ البلاغة،ص:85.

العقلاء،فربَّما وقع الجيّد للسّوقي والنّبطي والزّنجي،وإنَّما يتفاضل النَّاس في الألفاظ ورصفها ونظمها"،[1]وعلى هذا الأساس فإنَّ أبا هلال يميل إلى اللّفظ أكثر من المعنى،ويرى أنَّ الألفاظ يجب أن تكون جميلة رشيقة وأن لا تكون غريبة لأنَّ الغرابة تخِلُّ بالفصاحة.

وكذلك تحدّث عن الإيجاز والإطناب وحاجته إليهما في جميع الكلام،ولكل واحد منهما موضع فمن استعمل أحدهما في موضع الأخر أخطأ.فالإيجاز يبدأه أبو هلال،بقول أصحاب الإيجاز:"الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة،وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل في باب الهذر والخطل،وهما من أعظم أدواء الكلام،وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصنّاعة".[2]

ويقسم الإيجاز إلى نوعين:

أ-إيجاز القصر:عنده هو تقليل الألفاظ،وتكثير المعاني،ويتمثّل له:

* بقوله تعالى:[**وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ** ﴿١٧٩﴾]،[3]ويبيّن فضلها على قولهم(القتل أنفى للقتل)

ب-إيجاز الحذف:وقد جعله على وجوه نقلها بشواهدها وتعليقاتها عن ابن قتيبة مع إسقاط لبعض الآيات من ناحيَّة وزيَّاد بعض الأمثلة من كلام العرب من ناحيَّة أخرى،ومن الحذف الرّديء.

قول الحارث بن حلزة:

والعَيْشُ خيْرٌ في طِلاَ لِ النُّوكِ مِمَّنْ عَاشَ كَذَا.[1]

---

[1] عبد العزيز معطى عرفة،قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة،ص:351.

[2] المرجع السابق،ص:354.

[3] سورة البقرة،الأية 179.

ويقول:وإنَّما أراد:والعيش النَّاعم خيرٌ في ظلال النّوك من العيش الشَّاق في ظلال العقل،وليس يدّل لحن كلامه على هذا فهو الإيجاز المقصر".[2]

أمَّا بالنسبة للإطناب،فقد يكون الإطناب بالتّكرِير لفرض التَّوكيد **كقوله تعالى**:**[كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤]**،[3]**وفي(ثُم)**دلالة على أنَّ الإنذار الثائي أبلغ وأشَّد،وكذلك **قوله تعالى[فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣]**.[4]وذلك أنَّه عدّد فيها نعماءه وذكر عباده آلاءه ونبّههم على قدرتها،وقدرته عليها،ولطفه فيها،وجعلها فاصلة بين كلّ نعمة ليعرف موضع ما أسداه إليهم منها.[5]

عنى أنَّ الله تعالى ذكر نعمة بعد نعمة،وعقب على كل نعمة بهذا القول.والمعلوم أنَّ الغرض من ذكره عقب نعمة غير الغرض من ذكره عقب نعمة أخرى.

أمَّا في التشبيه فيرى أبو هلال العسكري أنَّه من الصوّر التِّي تزيد المعنى وضوحاً وتكسبه توكيدًا،ويعرّفه بقوله:"هو الوصف بأنَّ أحد الموصوفين ينوب مناب الأخر بأداة تشبيه،ناب مَنَابه أو لم ينب،وقد تحذف أداة التَّشبيه،**كقول امرئ القيس**:

---

[1] عبد العزيز معطي عرفة،قضية الإعجاز القراني وأثرها في تدوين البلاغة،ص355.

[2] يُنظر:المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[3] سورة التَّكاثر،الآية(3-4).

[4] سورة الرحمان،الآية:13.

[5] عبد العزيز معطي ،وأثرها في تدوين البلاغة ،ص:357.

لَهُ أَيَطَلاَظَبْي وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءَ سَرْحَانٍ وَتَقْرِيْبَ تَتْفُلٍ.[1]

ويقول معلقًا على هذا البيت:"هذا لم يحمل على التَّشبيه فسد الكلام،لأنَّ الفرس لا يكون له أيطلا ظبي ولا ساقا نعامة ولاغيره ممّا ذكره،وإنَّما المعنى له أيطلان كأيطلي ظبي،وساقان كساقي نعامة".[2]

كما يرى أ لا يلزم أنَّ يكون المشبه يشبه المشبّه به من كلّ الوجوه بلى يكفي أن يتشابها في وجه واحد،مثل **قوله عزّ وجلّ:[وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾]**،[3]إنَّما شبّه المراكب بالجبال من جهة عظمتها لا من جهة صلابتها ورسوخها ورزانتها،ولو أشبه الشّيء من جميع جهاته لكان هو،ولعلّه لا يعجبه ما رآه قدامه من أنَّ حسن التّشبيه هو ما أوقع بين الشّيئين اشتراكهما في الصّفات أكثر من انفرادهما فيها حتَّى يدنى بهما إلى حال الاتّحاد.[4]

وكذلك تناول العسكري في كتابه الصناعتين أنواع البديع وعدّدها خمسة وثلاثين نوعاً.حيث لا يعدّ السجع والازدواج من أنواع البديع،وبينما يعتبر الاستعارة والمجاز من البديع وهما من البيان،أمَّا في البديع فيدخل الإشارة والإرداف،والمماثلة والكناية والتّعريض،وهي من البيان أيضاً.وكذلك يعدّ من البديعُ:التذييل،والتكميل،والتتميم،والاعتراض،وكلّها من الإطناب وهي من علم المعاني وليست من

[1] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[2] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[3] سورة الرحمن،الأية:24.

[4] عبد العزيز المعطي عرفة،قضية الإعجاز القرأني وأثرها في تدوين البلاغة،الصفحة نفسها.

البديع وأصناف ممّا ذكره السّابقون ستة أنواع من البديع وهي:التشطير،المجاورة،التّطريز،المضاعف الاستشهاد والتّلطف.[1]

وفي الأخير نورد **قول عبد العزيز عتيق**،والذي أوجز فيه أهمّ ما صنعه أبو هلال العسكري فيقول:"ومن كتب الدّراسات النّقدية التّي قامت على أسس بلاغيَّة،وإن كانت أكثر تخصصاً من سابقتها(ل:كتاب الصناعتين:الكتابة والشّعر)لأبي هلال العسكري (ت395هـ)،فأبو هلال في كتاب الصناعتين يدرس البلاغة دراسة دقيقة فهي مزيج من علمه لخاص بها،وعلم من سبقوه إليها،مع الإكثار من الأمثلة والشّواهد.وهو يعني بالصناعتين:الكتابة والشّعر،فالكتاب يبنى من عنوانه عن وعه الذّي يبحث بحثاً مستفيضًا في أصول هاتين الصناعتين،وأدواتهما التّي تتظافر على صنع الكاتب والشّاعر".[2]

وبذلك كان كتاب "الصناعتين"زبدة بحوث البلاغة والنّقد وإن لم يكن جديداً كل جدّة،إلاّ أنّه ذو قيمة عظيمة في دراسة البلاغة العربيَّة،وهو من أجلّ كتب القرن الرّابع تنظيمًا وتهذيبًا.

المبحث الثالث:إزدهار الدّراسات البلاغيَّة

المطلب الأوّل:عبد القاهر الجرجاني(471هـ-474هـ)

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمد الجرجاني المتوفى مابين سنة(471هـ-474هـ)ويُعَدُّ علمًا من أعلام الدّراسات البلاغيَّة والنَّحوية والقرآنية بلا منازع،فقد بلغ التأليف

[1] عبد القادر حسين،المختصر في تاريخ البلاغة،دار الغريب،(د.ط)،سنة2001،ص:108.

[2] محمد رفعت أحمد الزنجير،مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم،ص:191.

البلاغي عنده غاية من الإحكام والنُّضج،وهو المؤسس الفعلي لعلمي المعاني والبيان،حيث استفاد من تراث العلماء قبله واستوعبه وهذّبه وأضاف عليه.[1]

كما أنَّ البلاغة في عصره قد بلغت ذروة نضجها وازدهارها من خلال كتابيه(دلائل الإعجاز)و(أسرار البلاغة)اللّذين تكاملت فيهما المباحث البلاغيَّة،واستقرّت البلاغة ملامحها الأخيرة،وبلغت أقصى ما قدّر لها أن تبلغه من نضج واكتمال على امتداد تاريخها كلّه.[2]

والحقّ أنَّ عبد القاهر كان له أثر كبير،ومكانة عظيمة في تاريخ البلاغة العربيَّة،فهي لم تكن قبله إلاَّ أفكاراً متناثرة،ونتفًا مفرقة،ومعلومات متداخلة،بل ربّما كان يتخلَّلها شيء من الخطأ،ولكنّه لم يكد يضع كتابيه"الدلائل"و"الأسرار"حتَّى أزاح البلاغة ما كان يكتنفها من لبسٍ وغموض،وبذل في ذلك جهوداً جبَّارة حتّى استطاع في النِّهاية أن يضع لنا أسس علم المعاني،وعلم البيان،فالعلوي صاحب الطّراز يقول في صدر كتابه أنَّ:"أوّل من أسّس هذا الفن وقواعده وأوضح براهينه،وأظهر فوائده،...ورتَبَ أفانينه الشيخ العالم التّحرير على المحققين عبد القاهر الجرجاني ...فجزاه الله أفضل جزاء.وله من المصنّفات كتابان أحدهما لقّبه بدلائل الإعجاز والأخر لقّبه بأسرار البلاغة"،[3]وفي هذا النَّص إشارة إلى أنَّ الجرجاني يعود له الفضل الكبير في تحديد معالم هذا الفن الذّي عُرِفَ فيما بعد بعلم البيان،فذلك من خلال كتابيه"دلائل الإعجاز"و"أسرار البلاغة".

---

[1] المرجع نفسه،ص:103.

[2] أحمد مطلوب،البلاغة العربيَّة تاريخها مصادرها ومناهجها،ص:114.

[3] عبّد القاهر عبد الرحمن الجرجاني،أسرار البلاغة،قرأه وعلّق عليه،محمود محمد شاكر،دار المدني،جدّة،(د.ط)،(د.ت)،ص:13.

استطاع الجرجاني أن يضع نظرية علمي المعاني والبيان وضعًا دقيقًا،أمَّا النَّظرية الأولى فخصّ بعرضها وتفصيلها في كتابه"دلائل الإعجاز"وأمَّا النَّظرية الثَّانية فخصَّ بعرضها وتفصيلها في كتابه "أسرار البلاغة"،هذا ما ينبغي أن يُلاحظ منذ أوّل الأمر وهو أنَّ قسمة البلاغة إلى العلوم الثلاثة والتِّي هي:"المعاني والبيان والبديع لم تكن قد استقرّت حتّى عصر عبد القاهر.[1]

فالبيان عنده مصطلح عام يشمل البلاغة كلّها،وهو كما يقول:"أرسخ أصلاً وأبصق فرعاً وأحلى جنى وأعذب ورداً،وأكرم نتاجاً وأنور سراجًا...".[2]

لذلك نجد أنَّ دراسة عبد القاهر للصوّر البيانيَّة خير ما تركه القدماء من حيث التّحديد والتَّقسيم وإظهار روعتها وقيمتها الفنيَّة وتوليد معاني جديدة.وقد أرجع محاسن الكلام إليها ولذلك قدّم البحث فيها ليبرهن إلى فكرته في التَّصوير،حيث قال:"وأوّل ذلك وأولاه وأحقَّه أن يستوفيه النَّظر ويتقصّاه القول عن التّشبيه والتَّمثيل والاستعارة فإنَّ هذه أصول كبيرة كأنَّ جلّ محاسن الكلام-إن لم تقل كلَّها-متفرّعة عنها وراجعة إليها،وكأنَّها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها وأقطار تحيط بها من جهاتها،ولا يقنع طالب التَّحقيق أن يقتصر فيها على أمثلة تذكر ونظائر تعدّ".[3]

أمَّا في كتابه "الأسرار" فنجد أنَّ الجرجاني قد تابع عمله البلاغي الرّائع،فبيَّن في أوّله فضل الكلام ومزيّة البيان،ثُمَّ انطلق ليؤكد ما تناوله في"دلائل الإعجاز"من أنَّ ما يوصف به الكلام ليس في

[1] شوقي ضيف،البلاغة تطور وتاريخ،ص:160.

[2] أحمد مطلوب،عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونَّقده،وكالة المطبوعات،ط1،بيروت،1339هـ-1973م،ص:123.

[3] المرجع السابق،الصفحة نفسها.

حقيقته وصفًا للألفاظ المفردة،"كيف والألفاظ لا تفيد حتّى تؤلّف ضربًا خاصًا من التّأليف،ويُعمد بها إلى وجه دون وجه من التّركيب والتّرتيب".[1]

ويمضي في شرح هذه الفكرة من جديد حتّى ينتهي إلى القول:"فإذا رأيت البصير بجواهر الكلام يُستحسن شعراً أو يستجيد نثراً،ثمَّ يجعل الثناء عليه من حيث اللّفظ،فيقول:حلو رشيق،وحسن أنيق،وعذب سائغ،وخَلوب رائع،فاعلم أنَّه ليس يُنبئك عن أحوالٍ ترجع إلى أجراس الحروف،وإلى ظاهر الوضع اللّغوي،بل أمر يقع في المرء في فؤاده،وفضل يقتَّرحه العقل من زناده"[2]

ومن المؤكّد أنَّه حين خصَّ هذا الكتاب بمباحث من البيان لم يكن يفكّر في وضع هذا الاسم عَلمًا عليها،فهو كان يسمي مباحثه في المعاني باسم علم البيان تارةً وعلم الفصاحة تارةً أخرى،وفي هذا الكتاب إشارة إلى أنَّ الاستعارة من البديع،وكأنَّه يحسَّ أنَّ كلَّ ما سُمِّي بعده باسم البديع والمعاني والبيان إنَّما كان يعرض لعلم واحد وهو علم البلاغة وخصائص التَّعبير الجماليَّة.[3]

لقد تبوّأ الإمام الجرجاني هذه المنزلة الرّفيعة في تاريخ البلاغة العربيَّة بأمرين اثنين:

أولهما:أنَّه اتّجه بالبلاغة نحو التَّقنين،وتحديد المعالم،كانت له في"دلائل الإعجاز"نظرة كاملة في المعاني،وكانت له"أسرار البلاغة "نظرة كاملة تقريباً في علم البيان.

[1] موجز في تاريخ البلاغة،لمازن مبارك،ص:95.

[2] المرجع نفسه،ص:96.

[3] يُنظر:شوقي ضيف،البلاغة تطور وتاريخ،ص:190.

ثانيهما:أنَّه ألف بين العلم والذّوق،واستعان بأحدهما على الأخر،فهو في تحليله للشَّواهد والأمثلة إنَّما يأخذ بأيدينا ليُقِفَنَا على الجمال بشعورنا وإحساسنا،ثمَّ يأخذنا بأيدينا ثانيَّة ليقنعنا بصدق شعورنا وإحساسنا بالجمال،وإقناع العقل والمنطق بعد إقناع الشّعور والإحساس،واطمئنان القلب.[1]

ويتّضّح من هذا أنَّ عبد القاهر الجرجاني وضع أسس البلاغة العربيَّة وحدَّد معالمها،وذلك عن طريق علمين معروفين هما:المعاني والبيان.كما استعان على الذّوق وجمعه بالعلم حتَّى يشعرنا بإحساس الجمال وإقناع العقل،ولذلك يظهر تحليله لأمثلة القرآن الكريم والشّعر،تحليلاً يجتمع فيه العقل والذّوق.

ومن الأفكار البلاغيَّة التِّي عرض لها عبد القاهر،نجد أنَّه يمتلك أسلوباً رائعًا في التّحليل البلاغي الممتع،ومن ذلك تحليله الرّائع لأبيات أبي النّواس في صفة البازي،حيث يوردها ويعقب عليها،فيقول:"وممَّا حقّه أن يكون على فرط الاستقصاء في التَّشبيه،وفضل العنايَّة بتأكيد ما بدئ به

قول أبي نواس في صفة البازي:

كَأَنَّ عَيْنَيْهِ إِذَا مَا أَثْأَرَا فَصَانِ قِيْضًا مِنْ عَقِيقٍ أَحْمَرَا

في هَامَةٍ عَلْيَاءَ تَهْدِي مَنْسَرَا كَعَطْفَةِ الجِيمِ بِكفٍّ أَعْسَرَا.[2]

أراد أن يشبّه المنقار بالجيم،والجيمُ خطان،الأوّل الذّي هو مبدؤه وهو الأعلى،والثّاني وهو الذّي يذهب إلى اليسار،وإذا لم توصل فلها تعريقُ كما لا يخفى،والمنقار إنَّما يُشبه الخطّ الأعلى فقط،فلما كان كذلك قال:(كعطفة الجيم)،ولم يقل (كالجيم)،ثُمَّ إنَّه دقّق بأنَّ جعلها بكف أعسر،لأنَّ الجيم

[1] مازن مبارك،الموجز في تاريخ البلاغة،ص:102.

[2] محمد رفعت أحمد الزنجير،مباحث في إعجاز القرأن الكريم،ص:111.

الأعسر قالوا أشبه بالمنقار من جيم الأيمن،ثمَّ أراد أن يؤكّد أنَّ الشّبه مقصور على الخط الأعلى من شكل الجيم".[1]

تناول عبد القاهر كذلك المجاز من خلال هذه النَّظريَّة أيضًا، ففي رأيه أنَّ حسنه يتضاعف وقيمته الفنيَّة تزداد بالنَّظر إليه في موقعه في نَّظم معيَّن، فجمال **قوله تعالى:[وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا]**.[2]

لا يرجع إلى استعارة لفظ الاشتعال،لظهور الشّيب فحسب،وإنَّما لكون هذه الاستعارة قد جاءت في نظمٍ بذاته،ويتمثل في إسناد الفعل (اشتعل)إلى(الرّأس)معرّفًا ب(أل)،ونصب(شيبًا)بعده على التّمييز. لنَّسق في التعبير أفادت الآية مع لمعان الشَّيب في الرَّأس الذّي هو أصل المعنى الشّيوع،والشّمول،وأنَّ الشيب قد استغرق كل أجزاء الرّأس وهذا المعنى لا يتأتى لو تغير النَّظم،وقيل مثلاً:"اشتعل الشيب الرّأس،أو الشّيب في الرّأس".[3]

وكذلك تحدّث عن الفرق في الدّلالة بين الإخبار بالاسم،والإخبار بالفعل من خلال نَّظرية النَّظم،وهو يُعد كلاهما في هذه الحالة خبراً ،لكن ثمّة فرقًا لطيفًا بينهما في طبيعة إثبات المعنى،فالاسم يثبت المعنى للشّيء من غير أن يقتضي تجدّده شيئًا بعد شيء.أمَّا الفعل فإنَّه يقتضي تجدّده المعنى

[1] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[2] سورة مريم،الآية:04.

[3] شفيع السيد،البحث البلاغي تأصيل وتقييم،ص:62-63.

المثبت به شيئًا بعد شيء.ويترتب على هذا الفرق أنَّ أحدهما لا يحسن في موضع قد يحسن فيه للأخر، **ففي قول الشّاعر الذّي يتغنى بسخاء قومه:**

لاَ يَأْلَفُ الدِّرْهَمُ المَضْرُوبُ خِرْقَتُنَا لَكِنْ يَمُرُ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ.[1]

نجد الإخبار بصيغة الاسم"منطلق"أكثر دلالة على التَّمدح والكرم،من حيث إنَّه يفيد ثبوت الانطلاق لما يكسبونه من مال،ولا يحسن في هذا المقام استخدام الفعل الدّال على تجدّد الثبوت.وفي المقابل نقرأ **قول الأعشى:**

لَعمري لَقَدْ لاَحَتْ عُيُونُ كَثِرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ في يَفَاعٍ تَحَرَّق.

تُشَبُّ لمقرورين يصطليانها وبات على النّار النّدى والمُحلَّق.[2]

فصيغة الفعل (تَحَرَّق) تفيد تجدّد الاشتعال والإحراق،حينًا بعد حين،ولو قيل(متحرّقة)لكان المعنى أنَّ هناك ناراً قد ثبت لها وفيها هذه الصّفة،وجرى مجرى أن يقال:"إلى ضوء نار عظيمة".[3]

أمَّا علم البديع فنجد أنَّ"عبد القاهر الجرجاني" لم يضم له نظريَّة،وإنَّما كان منشغلاً بقطبي النَّظم عمّا سواهم،وهما :علم المعاني والبيان.

يقول **الدكتور عبد العزيز عتيق:**"والمتصفّح لكتابيه السّابقين:الدلائل والأسرار يرى أنّه لم يحاول فيهما وضع نَّظرية في علم البديع،كما فعل بالنسبة لعلمي المعاني والبيان،ولو أنَّه فعل لأعفى

[1] المرجع نفسه،ص:61.

[2] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه،الصفحة نفسها وما بعدها.

أصحاب البديع من توزع مباحثهم فيه توزعاً حال بينهما وبين أن تصير علمًا واضح المعالم والمباحث كالمعاني والبيان.

ومع ذلك فقد تكلّم في أسرار البلاغة عن ألوان من البديع هي الجناس،والسّجع،وحسن التعليل،مع الإشارة أحيانًا إلى الطباق والمبالغة،وحديثه عن هذه المحسنات ليس لأغراض بديعيَّة بقدر ما هو لأغراض بيانيَّة"،[1]هذا النَّص يشير إلى أنَّ الجرجاني لم يتطرق إلى البديع كثيراً إلاَّ في بعض المواضع فقط،وذلك لعنايته بعلمي المعاني والبيان،وقد ذكر بعض ألوان البديع ومع ذلك فقد أدرجها في قائمة البيان.

ومن موضوعات البديع التّي أشار إليها في كِتَابيةِ من غير أن يهتم به إلاَّ بقدر ما يؤيد نظريته في النَّظم:"الجناس وهو مما لا يتعدّى الحسن والقبح فيه اللّفظ والجرس،وإنَّما فيه يناجي العقل والنَّفس ولا يستحسن تجانس اللّفظتين إلاَّ إذا كان موقع معانيهما من العقل موقعًا حميدًا ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً.ولذلك لم يستحسن **قول أبي تمام:**

ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّماحَةُ فالتُوتُ فِيهِ الظُنُونُ أَمذْهبُ أم مُذْهَب.[2]

بينما استحسن "حتّى نجا من خوفه وما نجا"وقول المحدث:

نَاظِرَاهُ فِيْمَا جَنَى نَاظِرُهُ أَوْ دَعَاني أَمُتْ بِمَ أَوِ دَعَانِي.[3]

---

[1] محمد رفعت أحمد الزنجير،مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم،ص:114.

[2] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،ص:07.

[3] المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

وقال:"أتراك استضعفت تجنيس أبي تمّام واستحسنت تجنيس القائل وقول المتحدث لأمر يرجع إلى اللفظ أنم لأنَّك رأيت الفائدة ضعفت عن الأوّل وقويت في الثاني،ورأيتك لم يزيدك بِمَذْهَب ومُذْهَب على أنَّ أسمعك حروفاً مكرَّرة تروم لها فائدة فلا تجدها إلاَّ مجهولة منكرة ورأيت الأخر قد أعاد عليك اللّفظة كأنّه يخدع من الفائدة وقد أعطاها ويوهمك كأنَّه لم يزدك وقد أحسن الزّيادة ووفَّاها،فبهذه السريرة صار التَّجنيس وخصوصًا المستوفى منه المتفق في الصورة من حلو الشعر ومذكوراً في أقسام البديع.فقد تبين لك أنَّ ما يعطي التجنيس من الفضيلة،أمرُ لم يتمَّ إلاَّ بِنُصرة المعنى،إذ لو كان اللَّفظُ وحْدَهُ لما كان فيه إلاَّ مستحسنٌ،ولما وُجِدَ فيه معيبُ مُستهجن.ولذلك ذمُّ الاستكثار منه والوَلُوعُ به".

إذ يركز عبد القاهر الجرجاني على إبراز الأثر النَّفسي،ذلك الأثر المتمثل في أنَّ السَّامع أو القارئ حين سمع الكلمة الثانيَّة يتوهم للوهلة الأولى أنَّها هي الكلمة الأ لى ذاتها،ثمَّ لا يلبث أن كتشف أنَّها قد حملت معنى جديداً،وأفادت فائدة جديدة.[1]

ئذا وصلت البلاغة العربيَّة على يد الجرجاني ذروة نضجها واكتمالها،وتكاملت فنونها وعلومها،وقد تبلورت ملامح البلاغة عند عبد القاهر على أهم علمين من علوم البلاغة الثلاثة وهما"المعاني"و"البيان" صورة لم يستطعْ البلاغيُّون اللاَّحقون أن يضيفوا إليها شيئًا،بل إنَّهم لم يستطيعوا حتّى أن يحتفظوا للبلاغة بهذا المستوى الذّي أوصلها عبد القاهر إليه.

[1] المصدر السابق،ص08.

المطلب الثاني:الزّمخشري(ت537هـ)

يُعَدُّ الإمام جار الله الزَّمخشري (ت537هـ)أحد أبرز أعلام التَّفسير،ويُعتبر مصنّفه"الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل"[1]من أهمَّ تفاسير القرآن الكريم وأكثرهم عنايةً بالبلاغة القرآنية.كما نال شهرة مدويَّة في العالم الإسلامي منذ عصره بسبب"الكشاف"إذ استطاع أن يقدّم فيه صورة رائعة لتفسير القرآن،تُعينه في ذلك بصيرة نافذة تتغلغل في مسالك التنزيل وتكشف عن خفاياه ودقائقه،كما يعينه ذوق أدبي مرهف يقيس الجمال البلاغي قيَّاسًا دقيقًا ومَا يُطْوَى فيه من كمال وجلال.[2]

وكذلك نجد أنَّ الزَّمخشري قد تسلّم إرث الجرجاني الضخم وما اشتمل عليه من أراء بلاغيَّة شرح الجرجاني بها وجوه إعجاز القرآن،وعلّل بها صور الجمال الأدبي،فأخذها الزَّمخشري وأضاف إليها أصولاً بلاغية هامَّة لم يعرض لها عبد القاهر ونمَّى كثيراً من الأصول السَّابقة،وحرَّر كثيراً من المسائل.[3]

وقد كان يعتقد أنَّ تفسير القرآن أمرُ لا يدركُ إلاَّ عن طريق علمي البيان والمعاني،وأنَّه ما من فقيه،ولا مُتَّكلِّم،ولا لغوي ولا نحوي ولا حافظ أو واعظ،أيًّا كان مبلغه من علمه يستطيع أن يتصدّى لتفسير القرآن ما لم يبرع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان،وهكذا أقام تفسيره لمى أساس من هذين العلمين،فتفرّد بهذه الميزة من بين المفسّرين،وقال صاحب "الطراز"في معرض

---

[1] المرجع السابق، ص:117.

[2] شوقي ضيف،البلاغة تطور وتاريخ،ص:219.

[3] يُنظر:مازن مبارك،موجز في تاريخ البلاغة،ص:105.

حديثه عن(الكشاف):" لم أعلم تفسيراً مؤسسًا على علمي المعاني والبيان سواه"[1]،وفي هذا القول إشارة إلى أنَّ الزَّمخشري اهتمَّ في كتابه بعلمي المعاني والبيان فقط،وسمّى كلَّ منهما علمًا يختصُّ في دراسة الجملة وأحوالها.

فقد سار الزَّمخشري على منهج الجرجاني في تحليلاته العقليَّة الذّوقيَّة وتطبيقاته البلاغيَّة حتَّى قيل أنَّ الزَّمخشري متمِّم لعمل الجرجاني في البلاغة،فتأثَّر به وردَّ إعجاز القرآن إلى نَّظمه،فَيَدْخُلُ في نظم المعاني والبيان سالكًا طريق عبد القاهر،ففي مقدّمة تفسيره الكشَّاف يقول:"إنَّ علم التَّفسير لا يتمّ تعاطيه،وإحالة النَّظر في كلّ ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتابه نَّظم القرآن ...بل إنَّه لا يغوصُ على شيء من تلك الحقائق إلاَّ رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن،وهما علم المعاني وعلم البيان"[2]،وكلام الزَّمخشري هذا غير واضح،لأنَّه كثيراً ما يردّد هذين المصطلحين،وكثيراً ما يطلق مصطلح البيان على البلاغة،وكان يفسِّر القرآن الكريم ويوضح ما فيه من معانٍ سامته وما فيه من روعة الجمال،أمَّا مسائل البلاغة فلم يذكرها إلاَّ لا ظهار روعة القرآن وإعجازه.

فمن الواضح أنَّ الزَّمخشري يجعل لعلمي المعاني والبيان أهمَّ عُدَّة لمن يُريد أن يفسّر التنزيل،إذ وهما لا تستقيم له الدّلالات ولا تتضح له الإشارات ولا لطائف ما في الذّكر الحكيم من الجمال البلاغي المعجز الذّي عَنَتْ له وجوه العرب.إذًا فليس التَّفسير هو معرفة معاني القرآن فحسب،بل هو أيضًا بيان لأسرار إعجازه.وأنَّ نفس معرفة معانيه لا تتمّ إلاَّ لمن تمت له آلة البلاغة،وعرف وجوه

[1] المرجع السابق، ص:106.

[2] عبد القادر حسين،أثر النحاة في البحث البلاغي،ص:419.

الأساليب وخصائصها المعنويَّة وحذق الأسباب المعينة على تمييز صور الكلام البيانيَّة،ويقول الزَّمخشري:"إنَّه لابدَّ من التَّجرد لذلك وطول الكدّ،والتنقير والبحث،حتَّى يبلغ من يتصدّى للتفسير الغاية في معرفة علمي المعاني والبيان"[1]،إذ يرى أنَّ المفسِّر لا يمكنه أن يغوص في معاني القرآن ما لم يكن بارعًا في علمين مختصين هما:علم المعاني وعلم البيان.

كما كانت علوم البلاغة واضحة تمام الوضوح في ذهن الزَّمخشري،فمضى يطبِّقها على أي الذكر ئيم مهتمًّا خاصة بعلمي المعاني والبيان،لتشابكهما في دلالات الألفاظ والتَّراكيب في أسرار الإعجاز القرآني ولطائفه الدّقيقة.

كما استعان الزَّمخشري في تفسيره"الكشاف"على نماذج بلاغيَّة وتطبيقها على أي الذكر الحكيم،حيث يظهر فيها الجانب البلاغي،ولذلك نَوَدُّ أن نعرض بعض التَّطبيقات التِّي لها صلة بموضوعنا في ذلك التَّفسير البديع،وقد جاء في تفسير **قوله تعالى:**[**الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢**].[2]

فيقول في تفسيره لهذه الآية:(ومحل:هدى للمتَّقين،الرّفع،لأنَّه خبر مبتدأ محذوف،أو خبر مع(لا ريب فيه)لذلك،أو مبتدأ إذا جعل الظرف المقدَّم خبراً عنه،ويجوز أن ينصب على الحال،والعامل فيه معنى الإشارة أو الظرف،والذّي أرسخ عرقًا في البلاغة،أن يضرب عن هذه المحال صفحًا،وأن يقال:إنَّ قوله(الم)جملة رأسها،أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها.و(ذلك الكتاب)جملة ثانيَّة و(لا

[1] شوقي ضيف،البلاغة تطوّر وتاريخ،ص:221.

[2] سورة البقرة،الأية1-2.

ريب فيه)ثالثة.و(هدى للمتقين)رابعة.فلم تَخَلُ كلّ واحدة من الأربع،بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق،ونظمت هذا النَّظم السوي،من نكتة ذات جزالة،ففي الأولى:الحذف والرّمز إلى العرض بألطف وجه وأرشقه.وفي الثَّانية":ما في التَّعريف من فخامة.وفي الثَّالثة:ما في تقديم الريب على الظرف.وفي الرَّابعة:الحذف،ووضع المصدر الذّي هو(هدى)موضع الوصف الذّي هو(هاد)،و إيراده منكرًا،والإيجاز في(ذكر للمتقين)"،[1]إذًا نجد في هذا النَّص إشارة على قدرة الزَّمخشري في التَّحليل والتَّذوق البلاغي وسعيه إلى بيان التَّماسك ولوحدة العضويَّة في نَّظم الآيات القرآنية.

وكذلك جاء في معرض حديثه عن المجاز بقسميه:الاستعارة والتَّمثيل،وذلك في تفسير:

قوله تعالى:[خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧]،[2]يقول الزَّمخشري في تفسيره لهذه الآية:"الختم والكتم أخوان،لأنَّ في الاستيثاق من الشّيء بضرب الخاتم عليه كتمًا له وتغطية،لئلا يتوّصل إليه ولا يطلّع عليه،والغشاوةُ غطاء،فعالة من غشاه إذًا غطّاه،وهذا البناء لما اشتمل على الشّيء كالعصابة والعمامة،فإن قلت:ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار،وقلت:لا ختم ولا تغشية ثمَّ على حقيقة،وإنَّما هو من باب لمجاز،ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما:الاستعارة والتمثيل.أمَّا الاستعارة فأن تجعل (قلوبهم)لأنَّ الحقّ لا ينفذ فيها،ولا يخلص إلى ضمائرها،من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده،وأسماعهم حه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه كأنَّها مستوثق منها

[1] محمد رفعت أحمد الزنجير،مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم،ص:119-120.

[2] سورة البقرة،الآية:07.

بالختم،وأبصارهم لأنّها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله كأنّها منصوبة كمّاَ تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين،كأنّما غطّى عليها وحجبت وحيل بينهما وبين الإدراك".[1]

ونستطيع أن نقول أنَّ الزّمخشري لم يكتب كتابة مستقلّة خاصة بالبلاغة،أو بيان إعجاز القرآن الكريم،بل أخذ يكشف عن الأسرار والنكت والدّقائق البلاغيَّة التّي يتضمنها نظمه المعجز،وذلك أثناء تفسير القرآن الكريم.

المبحث الرّابع:مرحلة التّعقيد والجهود

المطلب الأوّل:السّكاكي(ت626هـ)

إنَّ أبا يعقوب السَّكاكي (626هـ)هو من علماء القرن السّابع الهجري،وكما قال عنه معاصروه ياقوت في معجم الأدباء،وضع كتابه(مفتاح العلوم)وقسَّمه ثلاثة أقسام:القسم الأوّل منه،للصرف والثاني:للنَّحو،والثالث للبلاغة وما تحوي عليه من علوم ومعاني وبيان وبديع،وما يلحق بهذه العلوم من قافية وعروض.[2]فقد تحوّلت البلاغة في تلخيصه إلى علم بأدقّ المعاني لكلمة علم،فهي قوانين تخلو من كلّ ما يمتع النَّفس،إذا سُلِطَ عليها المنطق بأصُوله ومناهجه الحادّة.[3]

فما وضعه السّكاكي في"مفتاح العلوم"من تقسيم للبلاغة هو الذّي أخذ به علماء البلاغة من بعده،فإذا عرفنا أنَّ السكاكي كان متأثراً بثقافته النَّحوية والمنطقية والكلاميَّة،وعرفنا أنَّه صبغ البلاغة في كتابه بصبغة هذه العلوم،وعرفنا سبب طغيان القوالب والحدود على علوم البلاغة،وعرفنا سبب

[1] محمد رفعت أحمد الزنجبير،مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم،ص:121.

[2] مازن مبارك،موجز في تاريخ البلاغة،ص:110.

[3] شوقي ضيف،البلاغة تطور وتاريخ،ص:288.

عقيد الذّي أصابها عنده وعند من قلّده وحذا حذوه.فكلّما يقرئ قارئُ ما كتبه السّكاكي عن التّشبيه وأنواعه وأقسامه وهو موضوع يتّصل بالصورة الأدبيَّة وسرّ جمالها-ليَرى مدى تمسّك السّكاكي بالحدود والتّعريفات،ويَرَى مدى حبه للتقسيم والتّفريع،بل يَرَى المدى الذي وصلت إليه البلاغة في جفافها وبعدها عن التَّحليل الذّوقي والجمالي.[1]

وإذا ما ذهبنا إلى كتابه"مفتاح العلوم"لوجدنا أنَّ أول ما يسترعي انتباه القارئ أنَّه أودع البلاغة علمين أساسيين هما:علم المعاني وعلم البيان،وهو في ذلك يجري في أثر الزَّمخشري على نحو ما مر بنا في حديثنا عنه،وأيضًا جرى في إثره إزّاء الألوان البديعية فإنَّه لم يجعلها علمًا قائمًا بنفسه يقابل علمي البلاغة (البيان والمعاني)،بل جعلها تابعةً لهما،فلا يلبث أن يأخذ في ضبط مقاعده وموضوعاته،قائلاً:"إنَّ التَّعرض لخواص تراكيب الكلام موقوف عل التَّعرض لتراكيبه ضرورة لكن لا يخفى عليك حال التَّعرض لها منتشرة،فيجب المصير إلى إيرادها تحت الضبط بتعيين ما هو أصل لها وسابق في الاعتبار"[2].

ثمَّ أخذ السّكاكي بعد ذلك يوضّح الموضوعات التّي سيتناولها الخبر أو الجملة الخبرية،وهي الإسناد الخبري والمسند إليه،والفصل والوصل والإيجاز والإطناب...إلخ.وكأنَّ الجديد عنده السّكاكي على الذّين سابقوه هو إعطاء تلك المراتب مصطلحاتها البلاغية الأخيرة،ومضى في إثر عبد القاهر الجرجاني،كما أنَّه استشهد بنفس البيت الذّي استشهد به عبد القاهر،وهو:**قول حَجْل بن نضلة:**

[1] المرجع السابق،ص:111.

[2] المرجع السابق،ص:289.

جَاءَ شَقِيْقُ عَارِضًا رُمَحَهُ إِنَّ بَنَى عَمُكَ فِيْهِمْ رِمَاحُ.[1]

وواضح أنَّه يجري وراء الإمام عبد القاهر في هذا الموطن.وعلى إثر ذلك يخرج إلى بيان أحوال المسند إليه،ويجمع ملاحظات عبد القاهر والزَّمخشري ويغمسها في ليقه النَّحو،فنجده يتحدّث في مبحث كبير عن حذف المسند إليه وذكره وتعريفه ووصفه وتنكيره وتقديمه على المسند وتأخيره عنه وتخصيصه وقَصْرِه:والمقتضيات البلاغيَّة لذلك كلّه،ويبدأ بحذفه قائلاً :"إنَّه قد يحذف لضيق المقام أو الاحتراز عن العبث أو لشهادة القرينة أو لقصد إلى عدم التّصريح أو لمناسبة أخرى يقتضيها المقام".[2]

وكما أشار أيضًا:"إلى تقصير العلماء والباحثين في دراسة البلاغة وكان يحسُّ أنَّه هو الرَّجل الذّي سيتدارك هذا التَّقصير بحقّ هذا العلم،ويقوم بضبطه وتنظيمه،فيقول:"ثمّ مع ما لهذا العلم من الشّرف الظّاهر،والفضل الباهر،لا ترى علمًا لقي من الضيم ما لقي،ولا منّي بسوم السّخيف بما منّي،أين الذّي مهّد له القواعد،ورتب له الشّواهد،وبيَّن له حدوداً يرجع إليها،وعيَّن له رسومًا يعرج عليها،وجمع حججًا وبراهين،وشمّر لضبط متفرّقاته وذيله،واستنهض في استخلاصها من الأيدي رجله وخيّله علم تراه أيادي سبأ،فجزء حوته الدّبور،وجزء حوته الصّبا...ولكن الله حلّت حكمته إذ وقف لتحريك القلم فيه،عسى أن يعطي القوس باريها،بحول منه عزّ سلطانه وقوّته،فما الحول والقوّة إلاّ

[1] المرجع السابق، ص:290.

[2] المرجع نفسه،ص:291.

به[1]،في هذا النّص نجده قد أسرف في الادّعاء فليس علم البلاغة كما صوّره وهذه الدّعوة واضحة جلية في نصّه هذا،إذ يدّعي أنَّه من رتَّب قواعده وفصّل في شواهده.

والعجيب في الأمر أنَّ السكاكي هم من برق البلاغة في بحار المنطق،ونأى بها عن نهر الذّوق يقف في قضيَّة الإعجاز موقفًا مخالفًا لمنهجه فيردّ الإعجاز إلى الذّوق،فيقول:"واعلم أنَّ شأنَّ الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه،كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة.ومدى الإعجاز عندي هو الذّوق ليس إلاَّ،وطريق اكتساب الذّوق طول خدمة هذين العلمين".[2]

إذْ يذهب السكاكي إلى أنَّ معرفة الإعجاز لا يكون إلاَّ بتكوين الذّوق الفنّي والممارسة الأدبية على ما تقتضي به أصول التربيَّة الفنيَّة الصّحيحة،وأنَّ اكتساب الذّوق يأتي عن طريق علمي المعاني والبيان.

كما لم يجعل السّكاكي البديع علمًا مستقلاًّ،وإنَّما قال عقب حديثه على علم البيان:"إذا تقرّر أنَّ البلاغة بمرجعيها(ويعني بهما علم المعاني والبيان،وأنَّ الفصاحة بنوعيها،ويعني بهما الفصاحة المعنويَّة والفصاحة اللّفظيَّة)،ممَّا يكسو الكلام حلّة التزيين،ويرقيه أعلى درجات للتَّحسين،فهاهنا وجوه مخصومة،كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام،فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها،وهي

[1] محمد رفعت أحمد الزنجبير،مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم،ص:237.

[2] منير محمد خليل ندا،التَّجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث،رسالة دكتوراه:بإشراف:علي العمارى،جامعة الملك عبد العزيز مكة المكرمة،ص:41.

قسمان:قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللّفظ"[1] هو يعني بهذين القسمين،المحسنات اللّفظية،والمحسنات المعنويَّة.

فمن القسم الأوّل(المطابقة)،وهي أن تجمع بين متضادين كقوله:

أمَّا وَالذّي أبْكَى وَأَضْحَكَ وَالذّي أَمَاتَ وَ أَحْيَا والذّي أَمَرَهُ أَمْر.[2]

ومن القسم الثاني(التجنيس) وهو تشابه الكلمتين في اللّفظ،كقولك:رحبة رحبة،والبدعة شَرك الشرك...".[3]

أَمَّا "الالتفات"عند السّكاكي هو:التعبير عن المعنى بطرق من الطرق الثلاثة التّي هي:المتَّكلم والخطاب والغيبة،مخالف لمقتضى الحال،سواء سبقه تعبير أخر بإحدى هذه الطرق،أو لم يسبقه،وذلك **كقول ربيعة بن المقروم:**

بَانَتْ سُعَادُ فَأَمْسَ القَلْبُ مَعْمُودَا وَأَخْلَفَتْكَ ابْنَةُ الحُرِّ المَوَاعِيدَا.[4]

المعمود:هو الحزين،وابنة الحر:هي سعاد،من وضع المظهر موضع المضمر.والبيت فيه التفات على رأي السّكاكي،حيث لم يقل:(وأخلفتني)ولا مانع أن يكون هذا الأسلوب من قبيل التجريد،حيث

[1] حلمي علي مرزوق،في فلسفة البلاغة العربيَّة(علم المعاني)،(د.ت،د.ط)،الاسكندارية،سنة1999،ص:19.

[2] المرجع السابق،الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[4] عبد العزيز عبد المعطى عرفة،من بلاغة النظم العربي،ج1،ص:202.

جرّد نفسه شخصًا أخر،وخاطبه فقال:(وأخلفتك)بدل(وأخلفتني)[1]،وعلى كلّ فالأسلوب فيه بلاغة وقوَّة وجمالاً.

وأمَّا ما يؤاخذ عليه هذا الرّجل أيضًا أنَّه خصّ البيان بأداء المعنى بطرق مختلفة،فيقول:"في طرق مختلفة بالزّيادة في وضوح الدّلالة عليه وبالنقصان"[2]،هنا نجده لا يخصّ علم البيان وحده وإنَّما يشمل المعاني أيضًا،لأنَّنا نستطيع كذلك أن نؤدّي المعنى بطرق مختلفة بالزّيادة في الوضوح أو بالنّقصان في موضوعات المعاني المختلفة.

فمثلاً لو قلنا (البرد قارص)أخبرنا عن كون البرد شديداً،أو أسندنا (القارص)إلى (البرد)،فإذا أردنا أن نزيد هذا المعنى وضوحًا وتأكيدًا،قلنا:(إنَّ البرد قارص)،وإذا أردنا أن نبالغ في تأكيد المعنى ووضوحه قلنا:(إنَّ البرد لقارص).[3]

وكذلك تحدّث في كتابه(مفتاح العلوم)عن الفصل والوصل وقد استهلَّ كلامه فيهما ببيان ما يسمّى كمال لاتّصال،حيث تصبح كأنَّها نعت لها أو توكيد أو عطف البيان أو بدل،ويقف عند **قوله تعالى:**[**وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ** ۝][4]،ويقول إنَّ (الواو)في الجملة (ولها كتاب معلوم) او الحال،والجملة حال من كلمة قرية النَّكرة،وسوّغ ذلك أنَّها واقعة في سيَّاق النَّفي فأشبهت الموصوفة،ثمَّ يقول:"وحمل العبارة على الوصف سهو لا خطأ،ولا عيب في سهو

[1] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[2] أحمد مطلوب،البلاغة عند السكاكي،ص:132.

[3] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[4] سورة الحجر،الآية:04.

الإنسان"،وهو يقصد الزَّمخشري إذ ذهب في الأية إلى أنَّ الجملة (ولها كتاب معلوم)صفة لقرية وتوسّطت الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف".[1]

وفي الأخير نجد أنَّ منهج السكاكي قد نال –لسوء حظ البلاغة العربية–من الرواج والذيوع ما لم يقدر لمنهج أخر من مناهج البحث البلاغي أن يناله،وإن أُخذ على الرِّجل شيءٌ فهو أنَّه مال إلى التّجريد وابتعد نسبيًا عن النُّصوص الحيَّة الممثلة للقواعد،ممّا جعل البلاغيين في العصور التالية يأنسون في أسلوبه إثارة من جفاف المنطق وبرودة التعقيد،في محاولة جادة لتطويره واستكمال ما ينقصه من جوانب.

المطلب الثاني:الخطيب القزويني(ت739هـ)

يعدّ "الخطيب القزويني"وهو جلال الدّين محمّد عبد الرّحمن القزويني المتوفى سنة(739هـ)،من أبرز الذّين لخصّوا"مفتاح العلوم"،وكان عالمًا في فقه العربيَّة ولي القضاء،ودّرس في مصر والشَّام.[2]

وقد نال كتابه"**تلخيص المفتاح**"شهرة فائقة،وأقبل عليه العلماء شرحاً وتلخيصًا ونظمًا،وممَّن شرحه الخطيب القزويني نفسه بكتاب سمَّاه"الإيضاح"،ويقول الخطيب:في مقدّمة كتابه"**تلخيص المفتاح**":"وكان القسم الثّالث من مفتاح العلوم الذّي صنّفه الفاضل العلاَّمة أبو يعقوب يوسف السّكاكي أعظم ما صنّف فيه من الكتب المشهورة نفعًا،لكونه أحسنها ترتيبًا وأتمّها تحريراً وأكثرها للأصول جمعًا.ولكن كان غير مصون عن الحشو والتَّطويل والتَّعقيد قابلاً للاختصار مفتقراً إلى

[1] شوقي ضيف،البلاغة تطور وتاريخ،ص:296-297.

[2] مازن مبارك،موجز في تاريخ البلاغة،ص:112.

الإيضاح والتَّجريد،فألّفت مختصراً يتضمّن ما فيه من القواعد،ويشمل على ما يحتاج إليه.من الأمثلة والشَّواهد. لم أل جهدًا في تحقيقه وتهذيبه،وتُرَتِبُه ترتيبًا أقرب تناولاً من ترتيبه،ولم أبالغ في اختصار لفظه.تقريباً لتعاطيه وطلبًا لتسهيل فهمه على طالبيه.وأضفت إلى ذلك فوائد عثرت في بعض كتب القوم عليها وزوائد لم أظفر في كلام أحد بالتَّصريح بها ولا بالإشارة إليها.وسميته تلخيص المفتاح"[1]،في هذا الكتاب لم يكتف الخطيب بمخالفة السكاكي في بعض أرائه،إنَّما وصل به الأمر إلى وضع مختصراً يبتعد عن التعقيد والإطناب من أجل الوصول إلى الهدف المنشود وهو تسهيل الفنون البلاغيَّة حتَّى يستوعبها جميع النَّاس.

ولذلك كان القزويني من أوائل الذّين فُتِنُوا ذا المنهج فحَصَر مباحث علم المعاني في ثمانية أبواب هي:

*أحوال الإسناد الخبري.

*أحوال المسند إليه.

*وأحوال المسند.

*وأحوال متعلقات الفعل.

*والقصر،والإنشاء.

*والفصل والوصل.

[1] عبد العزيز عبد المعطي عرفة،قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة،ص:735.

والإيجاز والإطناب والمساواة.ووجه الحصر هو:"إنَّ الكلام إمَّا خبر أو إنشاء،لأنَّه إمَّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أولا تطابقه،أولا يكون لها خارج الأوّل الخبر،والثّاني الإنشاء.ثمّ الخبر لابّد له من إسناد ومسند إليه ومسند وأحوال هذه الثلاثة هي الأبواب الثلاثة الأولى.ثمَّ المسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلاً أو متّصلاً به أوفى معناه كاسم الفاعل ونحوه،وهذا هو الباب الرّابع ثمَّ الإسناد وتعلّق كل واحد منهما يكون إمَّا بقصر أو بغير قصر،وهذا هو الباب الخامس.والإنشاء وهو الباب السادس ثمَّ الجملة ،إذا اقترنت بأخرى فتكون الثانيَّة إمَّا معطوفة على الأولى أو غير معطوفة،وهذا هو الباب السّابع.ولفظ الكلام البليغ إمَّا زائد على أصل المراد لفائدة أو غير زائد فيه.وهذا هو الباب الثامن"[1].فقد حصر مباحث علم البيان كما حصرها السكاكي مستعينًا بالدّلالات،وقد حصر البيان في المجاز والكناية لأنَّ دلالتهما عقلية،ولكنَّه مع ذلك لم يستطيع إخراج التَّشبيه،لأنَّ الاستعارة مبنية عليه ولذلك جعل التشبيه أصلاً من أصول البيان.

فلم يلبث أن يجعل البلاغة تشمل علوم المعاني والبيان والبديع،ويقول في هذا الصددِ:"إنَّ كثيراً من النَّاس يسمي الجميع علم البيان،وبعضهم يسمي البيان والبديع بالبيان،ومنهم من يسمي الثلاثة بعلم البديع"[2]،أي أنَّ البلاغيين يختلفون في تسميّة البلاغة،فكل واحد يدرجها تحت اسم ،بعضهم قال أنَّ المعاني والبيان والبديع هي علم البيان ،والبعض الأخر سمَّها البديع والبيان فقط بالبيان،أمَّا الفريق الثالث:يُدْرِج الفنون الثلاثة تحت اسم البديع.

[1] أحمد مطلوب،البلاغة عند السكاكي،ص376.

[2] عبد العزيز عبد المعطي عرفة،قضية الإعجاز في تدوين البلاغة العربيَّة،ص:736.

وبذلك يخرج إلى الفن الأوّل وقد خصَّ الحديث فيه علم المعاني،نراه يترك تعريف السّكاكي،ويعرفه بقوله:"هو علم يعرف به أحوال اللّفظ العربي التّي بها يطابق مقتضى الحال"[1].ويشير هذا التّعريف بأن يكون اللّفظ في الغرض الذّي سيق فيه،أي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ويمضي يلخصّ ما قاله السّكاكي في أحوال المسند إليه وتوكيده...إلخ.ونرى الخطيب القزويني يستهدي بالزَّمخشري وما ذهب إليه في تعليقه على بعض الآيات القرآنية من أنَّ(اللاَّم) قد تكون للعهد وقد تكون للحقيقة أو بعبارة أخرى للجنس،كما:**في قوله تعالى:**[**ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ** ۝٢][2]،وقد تكون للعهد الذهني،والكلمة حينئذ تشبه النَّكرة،وينصّ الزَّمخشري في:**قوله تعالى:**[**فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ** ۝٧٦][3]،على أنَّ التَّعريف للعموم،أي أنَّ الله يحبُّ كلَّ مُتَّق،وهو ما سمّاه الخطيب-ويسميه النّحاة-بالاستغراق،أي شمول جميع الأفراد.وكذلك اتّفق الخطيب القزويني مع السّكاكي في قولهما إنَّ استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع،واستشهد السكاكي بقوله تعالى:[**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي** ۝٤][4]،ويظهر أنّهما أخطأ جميعًا في فهم تعليق الزَّمخشري على الآية،إذ قال:"وحدّ العظم لأنَّ الواحد هو الدّال على معنى الجنسيَّة وقصده إلى أنَّ هذا الجنس الذّي هو العمود والقوام وأشدَّ ما

[1] المرجع السابق، ص:773.
[2] سورة الفاتحة،الآية:01.
[3] سورة أل عمران،الآية:76.
[4] سورة مريم،الآية:04.

تركب منه الجسد قد أصابه الوهن،ولو جمع لكان قصدًا إلى معنى أخر وهو أنَّه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلّها".[1]

حتّى إذا وصل إلى الإيجاز والإطناب توسّع فيهما عن السّكاكي وجعل لهما واسطة في المساواة مهتديًا بصنيع"بدر الدّين بن مالك"فيهما،ويصل إلى الفن الثاني وهو علم البيان،ويعرّفه بأنّه:"علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدّلالة عليه"[2]،وهذا التَّعريف لا يستقيم إلاَّ أن يكون المراد بالمعنى فيه هو الغوص،لأنَّ المعنى الواحد يعبر عنه بطريقة واحدة فقط،فوظيفته تنحصر في الاحتراز عن الخطأ في إيراد المعنى.

ومضى الخطيب القزويني وراء السّكاكي يقسّم المناسبة بين الجملتين أو الجامع إلى وهمي وعقلي وخيالي ثُمَّ ذيَّلَ مثله الحديث في هذا الفصل بالكلام عن واو الحال،ونقل رأيه في مثل:(نجوتُ وأرهنكم مالكًا)،وهو أنَّ الفعل بعدها على تقدير حذف المبتدأ،أي (وأنا أرهنكم مالكًا)،ثمَّ ذكر رأي عبد القاهر في أنَّ الواو ليست للحال وإنَّما هي للعطف في مثل هذا التعبير،كأنَّه قيل:نجوت ورهنتكم مالكًا،وإنَّما عُبر بالمضارع لاستحضاره الصورة،ورأى عبد القاهر أدق من الوجهة البلاغيَّة.[3]

وينتقل إلى الفن الثالث وهو عنده علم البديع.ويُعتَبرُ الخطيب أوّل من هذّبه،وقد عرّفه بقوله:"هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدّلالة"[4].من هذا التعريف

---

[1] يُنظر:شوقي ضيف،البلاغة تطور وتاريخ،ص:340.

[2] يُنظر:المرجع نفسه،ص:343-344.

[3] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[4] المرجع السابق،ص:347.

يتضّح انفراد عدد من الفنون البلاغيَّة باسم "البديع"تحت عنوان "علم البديع"،بعد أن كان اسمًا عامًا يشمل الظواهر والفنون البلاغيَّة كلها،وقد أصبح دور البديع مقصوراً على الكيفيات التِّي يكون بها تحسين الكلام وتزيينه،من خلال عدد من الفنون البلاغيَّة،وبالتَّالي تجريد غيرها من فكرة التَّحسين البلاغي.

وبذلك فهو يجري في إثر السكاكي، غير أنَّه توسَّع في عرضها وسَرْدِ ألوانها،وساق في ألوانها نّوية ثلاثين لونًا وساق في ألوانها اللّفظيَّة ثمانيَّة ألوان،وتحدّث فيها عن الاقتباس من القرآن والحديث،ثمَّ عن تَّضمين الشّعر شيئًا من شعر السّابقين...وغيرها.[1]

ومن أجل ذلك عمد القزويني إلى تلخيصه هذا فشرحه بكتاب أخر سّماه (الإيضاح) يوضح فيه ما كان مستغلقًا في تلخيصه ليقرّبه إلى الأذهان ،وتلك صفة أخرى من صفات التّأليف في هذا سر،تقاذفتها خلة المحافظة على التّراث،فقد انتهى بهم الأمر عند التَّلخيص والإيضاح،سواء في كتبهم أم في كتب غيرهم،وقد سمّوا التلخيص"متنًا" يريدون به صلب المادّة وجوهرها[2].وبذلك لم يكن القزويني مجرّد ملخص لمفتاح السّكاكي،بل كانت له لمسات وإضافات،يقول الدكتور شوقي ضيف:"وأهم من ترعوا عن قوس السكاكي الخطيب القزويني،فإنَّه صنَّف تلخيصًا دقيقًا لمباحثيه البلاغيَّة في المفتاح،ذللَّ فيه صعوبته تذليلاً،مع الاستضاءة بتلخيص بدر الدّين بن مالك وبآراء عبد القاهر والزَّمخشري،وهو يناقش الآخرين كثيراً،أمَّ السكاكي فيخصّه بكثير من الاعتراضات على تعاريفه

[1] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[2] حلمي علي مرزوق،في فلسفة البلاغة العربيَّة، ص:34.

وبعض أرائه،ورأى في هذا التّلخيص إجمالاً أكثر ممَّا ينبغي فصنَّف كتابه(الإيضاح)يبسط فيه معانيه المجملة وقضاياه المشكلة"[1]،يُعتبر قول شوقي ضيف دليلاً على أنَّ القزويني كان من الذّين انحرفوا عن مسار السّكاكي فصنّف كتابًا سمّاه "تلخيص المفتاح"تسهيلاً لقارئيه،وذلك بالأخذ من أراء الزّمخشري وعبد القاهر الجرجاني،أمَّا فيما يخص السّكاكي فقد عارضه في بعض آراءه.

فقد لخص الخطيب القزويني(ت739هـ)كتاب المفتاح،وضغطه ضغطًا شديدًا،بل عصره عصرًا حتّى صارت البلاغة أحكَامًا وقواعد تتسم بجفاف الماء،وذهاب الرّداء،وتفتقر إلى الشّرح والتّفسير،ممّا جعل العلماء،بعده يقصرون همّهم،ويشمرون سواعدهم لهذه المهمة فحسب.[2]

وفي الأخير نلاحظ أنَّ الإبداعُ في التأليف البلاغي توقف عند النقطة التّي انتهى إليها الخطيب،وتقاصرت همم القوم عند اختصار كتاب مسهَب أو إطالة كتابٍ مختصر،وتلك حال جميع شرّاح"تلخيص المفتاح"على كثرتهم.والذّي حدث أنَّ التلخيصات البلاغيَّة التّي صنَّفوها كان يشوبها الغموض،فكثرت عليها الشروح والحواشي حتّى أصبحت دراساتهم في خدمة كتب البلاغة في خدمة ،بهذا أصبحت القواعد البلاغيَّة لا تربي ذوقًا ولا ترهف حسًّا فقد أصابها الجمود.

خاتمة الفصل:

لا يمكننا أنم نحدّد زمنًا معيّنًا لنشوء البلاغة،فالبلاغة حاضرة حيث وجد الأدب وإن كانت بشكلها الفطري البسيط.وقد مرّت البلاغة بمراحل كثيرة وتطّورت عبر مراحل،عل أيدي باحثين جدد

[1] محمد رفعت أحمد الزنجير،مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم،ص:242.

[2] عبد القادر حسين،أثر النحاة في البحث البلاغي، ص:420.

إلى أن وصلت إلينا بأقسامها وفروعها التّي نعرفها، ولكنّنا نجدها قد انتهت إلى غير ما بدأت به،فجاءت على أيدي الجرجاني إبداعًا فنّيًا مرتبطًا بالأدب،وانتهت على يدي السكاكي ومن تلاه تقسيمًا وتبويبًا وتقعيدًا،حيث أصابها الجمود،وتاه الباحث في كثرة فروعها وأقسامها.وقد ظلّ أمرها ذا جمودًا على جمود حتّى قُيِّضَ لها من أدباء العربيَّة ونهضتها،وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل الثّالث.

الفصل الثالث

جهود العلماء

في

الدرس البلاغي الجديد

تمهيد:

تعود اليوم الدّراسات البلاغيَّة الحديثة واللّسانيات الحديثة،لتجعل الكلام وعمليتي التَّكلم والتَّلقي محوراً لجهود كثيرة أثمرت أفكارًا ناضجة ورسمت ملامح واضحة، مما أسهم في تطوير واستحداث ميادين جديدة للبحث البلاغي، ولذلك نجد أنَّ جماعة من أدبائنا قد نهضوا بالبلاغة نحو التّجديد،فتعدّدت الآراء،وتخاصمت الأفكار،في تجديد البلاغة،وبيان كيف يكون هذا التَّجديد على أنَّ أذواق العلماء المعاصرين والأدباء المشهورين لا تكاد تساعد على الوصول إلى هدف أو غاية التّي ينشدها المشفقون على البلاغة العربيَّة اليوم،وهذا ما يقضي بضرورة إعادة النَّظر في البلاغة القديمة وإنشاء بلاغة جديدة،تتفرع بحسب المستوى الشفاهي الكتابي،وبحسب الجنس:بلاغة الشعر وبلاغة النثر،وربَّما بحسب تفريعات أخرى.

المبحث الأول: مفهوم التّجديد

المطلب الأول:التّجديد في اللّغة

قال الزّمخشري:"رجلٌ مجدودٌ وجدّ:ذو جدّ، وهو أجد من فلان ويقال:أعطي فلان جدّا فلو بال الجدّ في بوله أيضا وجدّ في عيني، عظم.وسلك الجدد، وقد أجددت فسّر، ومشى على الجادة،وامشوا على الجواد، وجدّ في الأمر ،وأجدّ في السير، وأجاد أنت أم هازل؟ وأجدك تفعل كذا.وأرض جداء: لا ماء بها.وشاة جدّاء وجدود:لا لبن بها.وعلى ظهره جدّة، وفي السماء جدّة، وهي الطريقة.وهذا زمن الجدد، وأجدّ النخل. وملحقة جديد، وأجدّ ثوبا واستجده بمعنى".[1]

ومن المجاز:جدّ به الأمر، وجدّ جدّه، وهو على جدّ الأمر.وركب جدّة من الأمر أي الطريقة ورأى رأيا، وهذه نخل جادّ وساق أي تجدها، كما تقول ناقة حالبة علبتين، وتحلب علبتين"،[2] أي أن التّجديد هو إعادة الشيء مع ترميمه، بمعنى البحث عن الجديد.

وقد جاءت مادة (**جدّد**) في لسان العرب لابن منظور بأنها:"الجدّ هو نقيض البلى، ويقال شيء جديد، صار جديدا وهو نقيض الخلق، وجدّ الثوب، يجدّ بالكسر صار جديدا، والجديد ما لا عهد لك به".[3]

هذا يعني أن التّجديد إعادة ترميم الشيء البلى، وليس خلق شيء لم يكن موجودا، أي أن نعيد الفكرة أو الشيء الذي بلى إلى حالته الأولى مع التّجديد فيه.

---

[1] الزمخشري،اساس البلاغة،تح:محمد باسل عوب السود،دار الكتب العلمية،بيروت – لبنان،ط1،سنة1419هـ 1998م،ج1،ص:135

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] .ابن منظور، لسان العرب، مادة "جدد"، مكتبة الشرق الدولية، ط4، سنة2004م، ص109.

ونفس المعنى جاء في قاموس تاج العروس أن **الجدّة** بالكسر:ضدّ البلى، قال أبو علي وغيره:(جدّ) الثوب والشيء (يجدّ) بالكسر،(فهو جديد)[1].

أي التّجديد هو إعادة ما خلق وبلى إلى حالة جديدة أو إلى حالته الأولى التي كان بهاجديدا. وتقريبا نفس المعنى أوردته مختلف المعاجم فجاء في قاموس المحيط جدّد الثوب تجديدا صيره جديدا، أجدّ: النخل أجدادا حان أي يجد أي يصرك...والثوب جدّده، وفي الأمر اجتهد وضد الهزل"[2].

وإذا نظرنا إلى الاستعمال القرآني لهذه الكلمة نجد انه أتى بنفس المعنى اللغوي، وهو الإحياء والإعادة لما كان موجودا، **وقال تعالى:"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيْدٍ"**[3].

ومن خلال هذه المعاني اللغوية التي سبق ذكرها يتضح لنا إن التّجديد هو الشّيء المجدّد، يعني إعادة ترميم الشّيء البالي ولا يعني الإتيان بجديد منقطع عما كان عليه الأمر، والتّجديد يخرج الشيء من درك الحقارة إلى درجة العظمة وهو مظهر من مظاهر نزوع الإنسان نحو الأفضل والميل للتّخلص من الركود، والتّجديد في اللغة في نظره هو تجاوز للعيوب التي وقعت فيها اللغة التقليدية .

المطلب الثاني:التجديد في الاصطلاح

ومن النّاحية الاصطلاحيّة تباينت آراء المفكرين والمبدعين والنقاد المعاصرين في تحديد مدلول المصطلح،

[1] .محمد المرتضى الزّبيدي،تاج العروس،باب الدال،ج7،مطبعة حكومة الكويت،ط2،ص:478.

[2] .الفيروز الأبادي،قاموس المحيط،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت – لبنان،ط8،سنة 2005م،ص:95.

[3] .سورة إبراهيم،الآية:19.

وقد تنوعت عبارات العلماء في تعريف التجديد.

فالتّجديد في المعنى الاصطلاحي:هو نفسه في المعنى اللغوي ،وهو إعادة الشيء على ما كان عليه، وهو ليس سوى محاولة العودة به إلى أصله يوم نشأته وليس معناه تغيير طبيعة القديم والعمل على إحيائه إحياءً خالصاً محضاً على قدر الإمكان[1].

كما أن التجديد :هو إعادة الشّيء وتجديده مع المحافظة على أصوله وثوابته الأولى، أي التّغيير لا ينال الشيء وإنّما يعاد ويظهر بلباس جديد[2]؛أي ترك القديم على أصوله مع إلباسه حلّة جديدة تتناسب مع الحركة التّجديديّة التي قامت في العصر الحديث.فالتّجديد عند جابر عبد النور: **Linnovation**، وهو إتيان بما ليس شائعاً مألوفاً ويأتي على نوعين:

أولا:ابتكار موضوعات وأساليب تخرج عن الموضوعات والأساليب المعروفة سابقا والمتفق عليها جماعيا.

ثانيا:إعادة النظر في الموضوعات والأساليب المعروفة سابقا مع تعديلها حيث تبدو للعيان أنّها مبتكرة[3].

وقد انتشرت لفظة التّجديد والجديد في كثير من الكتب النقدية، وكانت محل انشغال أراء العديد من النّقاد، وجل هذه الألفاظ تعلّقت بالإبداع، وشكلت مع لفظة **القديم** و**التراث** ثنائية أصبحت إشكالاً نقدياً كبيراً تعرّض لها العديد من الأدباء والنّقاد في مؤلفات عدّة.

---

[1] .ينظر:سعيد بشار،الإجتهاد والتّجديد في الفكر الاسلامي المعاصر،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتّحدة الأمريكية،ط1،سنة2006:ص55

[2] .محمد عبد العزيز بن احمد العلّي،الحداثة في العالم العربي،دراسة عقدية،رسالة دكتوراه(مخطوط)،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،كلية أصول الدين بالرياض،سنة1414هـ ،ص:37.

[3] .ينظر:جبور عبد النور،المعجم الأدبي،دار الملايين،بيروت – لبنان،ط1،سنة1979م،ص58.

وكذلك نجد **طه حسين** يعبر عن لفظة (التّجديد) **بقوله** :"ونحن لا نحب أن يظل الأدب القديم من حيث هو قديم...بل نحب لأدبنا القديم أن يظلّ قواماً للثّقافة، وغذاءً للعقول ،لأنّه أساس الثّقافة العربيّة"[1]، فالتّجديد لا يأتي صدفةً دون الشّعور بقصور القديم، ومن هذا القصور تتولّد فكرة التّجديد وتتطوّر لتصبح صالحة.

فمصطلح التّجديد يحمل الكثير في طيّاته وما هو إلاّ" أفكارً إصلاحيّة وعمليّات توجيهيّة وحركات تغيريّة"[2]، أي التّجديد هو محاولة توجّه إلى التغيير وإصلاح الأفكار القديمة.

والى هنا نستخلص ان هذه المفاهيم السابقة للتجديد تصب في معنى واحد،وهو الخروج على النّمطية وازدراءالوضع القائم المتدهور ،أملا في غد أفضل ورغبة في تحقيق التقدم والازدهار ؛أي تغييرالوضع حسب متطلبات العصر،فالعربي وهو يعيش في احداث عصره، فلم يكن بعيدا عن تلك التيارات والمذاهب والمناهج فهو سريع التّأثر بنزعاتها ولذلك نجده يتأثر بكل ما هو جديد يخدم عصره.

المبحث الثاني:الإرهاصات الأولى في تجديد البلاغة

المطلب الأول:الإرهاصات الأولى في تجديد البلاغة

وقد كان لهذا التجديد بوادر وبدايات، بدأت مع بداية القرن العشرين، وتمثلت في محاضرات ومقالات تدعو إلى تجديد البلاغة العربية بعد ما طال عليها الزمن، ولم تغير ثوبها منذ القرن السادس الهجري حتى

[1] .طه حسين،حديث الأربعاء،دار المعارف،مصر،ط14،ج1،ص:13.

[2] .حياة لشهب ،المعجم العربي الحديث بين التقليد – معجم الوسيط نموذجا – رسالة ماجيستر،جامعة فرحات عباس، سطيف ،سنة2011م،ص:116.

اليوم[1].

ومن الباحثين الأوائل الذين دعوا إلى تجديد البلاغة العربية وتقديم تصور جديد لها،**احمد ضيف**(1880 م -1945م)، الذي أصدر كتابه :"**مقدمة لدراسة بلاغة العرب**"وكان ذلك سنة 1921م والذي رأى أن البلاغة هي :"كل قول الغرض من قبل كل شيء للاستيلاء على نفس السامع أو القارئ بفصاحة العبارة وحسن التركيب وبراعة الكاتب أو الشاعرة "أو هي"الكلام الفني الممتع،والكلام الفني يملا نفس السامع وعواطفه في أي موضوع كان،وعلى أي معنى دل"[2].

أما في كتاب(البلاغة الواضحة) للمؤلفين **علي جارم** و**مصطفى أمين** فنجد أنهما كانا يقصدان من مؤلفهما هو التخلص من الأساليب العقليّة والجدليّة وتسهيل البلاغة من أجل تحقيق الفهم لدى الطالب، فنجدهما يقولان:"وأملنا أن يكون لعملنا هذا شأن في إحياء الأدب، وتوجيه أذهان المعلمين والطلاب إلى هذه الطريقة التي ابتكرناها في دراسة البلاغة، ولعلنا نكون قد وفقنا إلى ما قصدنا، إليه والله خير مستعان "[3].

أما في تعريفهما للبلاغة فنرى أنها:"تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحةٍ فصيحةٍ لها في النّفس أثرٌ خلاّب ،مع ملائمة كل كلام للمواطن الذي يقال فيه ،والأشخاص الذين يخاطبون به"[4]،وهو تعريف

[1] .منير محمد خليل نداء،التّجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث،إشراف:علي عمارى رسالة دكتوراه،جامعة الملك عبد العزيز ،مكة المكرمة،(د.س)،ص:61.

[2] .عثماني عمّار،ملامح تجديد البلاغة في كتاب البلاغة العربية،قراءة أخرى"لمحمد عبد المطلب(دراسة تحليليّة نقديّة)،جامعة أحمد بن بلّة ،وهران،سنة1437 هـ - 2016م،ص96.

[3] علي الجارم ومصطفى أمين،البلاغة الواضحة(المعاني والبيان والبديع)،دار المعارف،مصر،(د.ط)،(د.ت)،ص:03.

[4] .عثماني عمّار،ملامح تجديد البلاغة في كتاب "البلاغةالعربيّة،قراءة أخرى"لمحمد عبد المطلب"،ص:99.

يتّفق في جزء مشهور من تعريف الرّماني للبلاغة ،**في قوله** هي :"إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"[1].

وكذلك نجد أن المؤلفان لم ينسى تكييف الكلام البليغ مع مقتضى حال السامع.ويتحدّث الكِتَاب عن البلاغة بوصفها "فنًّا من الفنون التي يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري ودقّة إدراك الجمال،وتبيين الفروق الخفية بين الأساليب، وللمران يد لا تجحد في تكوين الذوق الفني وتنشيط المواهب الفاترة، ولا بد للطّالب إلى جانب ذلك من قراءة طرائف الأدب والتملؤ من نصيبه الفيّاض، ونقد الآثار الأدبية والموازنة بينهما، وأن يكون له من الثّقة بنفسه ما يدفعه إلى الحكم بحسن ما يراه حسناً وبقبح ما يعده قبحاً"[2] ي أن البلاغة هي شيء يوجد في النفس ،ولذلك جاءالكثير من المجددين بمحاولات من أجل الخروج من القديم الى الجديد.

كان هذا الكلام الذي أتى به المؤلفان مأخوذاً ممّا نقله الجاحظ عن الخطابة ،**في قوله:**"رأس الخطبة الطّبع وعمودها الدّربة، وجناحاها رواية الكلام، وحليّها الإعراب، وبهاؤها تحيز اللفظ، والمحلبة مقرونة بقلة الاستكراه"[3]،بمعنى أن العلماء لم يجددوا في البلاغة تجديداً صرفاً بل اعتمدوا على الرصيد اللغوي القديم وهذا ما رأيناه في قول الجاحظ وما وضّفه المؤلفان.

وقد شهد الأدب حملة شرسة في العصر الحديث ومن أبرز هذه الحملات ما كتبه سلامة موسى في كتابه (**البلاغة العصريّة واللّغة العربيّة**) **وذلك في قوله:**"أن نأخذ من العامة للكتابة أكثر ما

---

[1] .المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[2] .يُنظر:المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[3] .الجاحظ،أبو عثمان عمرو بن بحر،البيان والتّبيين،تحقيق وشرح:عبد السلام محمد هارون،(د.ط)،(د.ت)،ص:44.

نستطيع حتى نصل إلى توحيدهما"[1].

وقدحاول احمد شايب أيضا في كتابه (**الأسلوب**) تقديم وضع جديد للبلاغة يلاءم ما آلت إليه الحركة الأدبية في ناحيتها العلمية والإنشائية، رأى أن البلاغة تدخل في بابين :باب الأسلوب، ويدرس الحروف والكلمات، والجمل، والصور، والفقرات، العبارات، وأن يكون ذلك بالاعتماد على علوم الصوت، والنّفس والموسيقى.أما الباب الثّاني :فيدرس الفنون الأدبية وقوانينها شعراً أو نثراً[2].

ولقي الكتاب الأسلوب ترحابا في أوساط الباحثين وقراءة للبلاغة ،إذ يراه بدوي طبانة "أوّل محاولة ايجابية في سبيل بعث البلاغة العربية، والبحث عن مجالاتها وما يمكن أن تتّسع له، وما لا ينبغي أن تجاوزه، وكان كتاب الأسلوب ثمرة خبرة عميقة، وتجربة طويلة في درس البلاغة وتدريسها لطلاب كلية الآداب ودار العلوم، واطلاع واسع على مراجعها العربية، وما كتب حولها في بعض اللغات الأجنبية"[3]،بمعنى أنّ البلاغة في مصطلحها الجديد أخذت مفاهيم عديدة ومصطلحات كثيرةاما المعنى فواحد.

الملاحظ أن طريقة تجديد البلاغة العربية سارت وفق اتجاهات ومظاهر، شكلت اختلاف وجهة النظر في هذا الموضوع، وذلك بتعدد الرؤى فيه، بين:

-الاعتماد على التراث البلاغي وجعله أساسا للتجديد.

-أو إلغاء الكتب القديمة التي تناولت البلاغة بمنهج السكاكي.

---

[1] .عثماني عمّار، ملامح تجديد البلاغة في كتاب"البلاغة العربيّة، قراءة أخرى"لمحمد عبد المطلب"، ص:101-102.

[2] .المرجع نفسه،ص103.

[3] المرجع نفسه،الصّفحة نفسها.

-أو مزج البلاغة العربيّة بأصول الدراسات البلاغية في شتى اللغات الحديثة الأوروبية، والجمع بين بلاغة العرب وبلاغة الغرب[1].

كل ذلك أثار قضية البلاغة بعد ركود ،وأيقظها بعد سبات طويل وأخذ العلماء والأدباء وأساتذة البلاغة يعبرون عن أرائهم ويعلنون عن اتجاهاتهم في تطوير البلاغة وتجديدها، للوصول إلى المبتغى الذي أراده المجدّدون، وهذا ما سنتعرّف عليه في المبحث الثالث من هذا الفصل.

المبحث الثّالث:جهود واتّجاهات جديدة في البلاغة العربية

رغم الاتساع في مجال البلاغة العربية وتعدّد بيئة نشأتها وبالرغم من جمود نشاطها الفكري لمدة من الزمن، إلا أنها حاولت أن تستعيد وعيها بعد ركودٍ طويلٍ وسباتٍ عميقٍ استيقظت منه، واستطاعت أن تفرض نفسها في حظيرة العلوم وجعلت لنفسها اتّجاهات جديدة تستند عليها في اللّغة، ولذلك انطلقت أصوات الدّعاة في العصر الحديث تنادي بتطوير البلاغة وتجديدها، وبدا كل منهم يعرب عن رأيه في التّجديد، ويبيّن وجهة نظره في التّطوير.

ومن أجل الوعي بمشروع التّجديد وفهم مشكلة البلاغة العربيّة في العصر الحديث والمعاصر، ظهرت اتّجاهات مختلفة حاولت أنْ تقدّم تصوّرها في معالجة القصور الذّي وقعت فيه البلاغة القديمة، مما فتح المجال إلى تعدّد الآراء والمنطلقات التي يمكن تقسيمها وفق اتّجاهها الرّئيس على النحو التّالي:

[1] .المرجع السّابق،ص104.

المطلب الأوّل:الاتّجاه النّفسي

ومن روّاد هذا الاتّجاه نجد: **احمد أمين**(1886م-1954م)،**والعقاد**(1889م-1964م)،**الرافعي**(1880م-1937م)**وأمين الخولي**(1895م-1966م)...وغيرهم كثير[1].

وبذلك نجد أن أمين الخولي تأثر بالمنهج النّفسي، وظهر ذلك في الدّراسات التّي قدّمها بخصوص موقفه من البلاغة القديمة ففي فن القول دعا إلى خطة لدراسة أسلوبية تستندها دراسة الفنون وعلم النّفس والدّراسات الجماليّة[2].

ومن هذا الطرح نجد تأثر الكاتب بعلم النفس، والدّعوة إلى وضع خطة من اجل التوفيق بين دراسات الأسلوبية ودراسات الوجدانية.

وتناول المؤلف بعد ذلك أبحاث الدرس من خلال دراسة الكلمة من حيث هي عنصر قوي، وذلك من خلال جرسها الصوتي، ثم دراسة الكلمة من حيث هي جزء الجملة لأن هذه الدلالة تتأثر بثلاثة أشياء وهي (الوضع كما يسميه الأقدمون-ثم الاستعمال وما يتركه من اثر في مفهومها-ثم نظم الجملة وأثرها في هذه الدلالة)، وكذلك مباحث الجمل ، ثم الفقرة، وفي صور التعبير.وفي البحث الخامس تناول الخولي دراسة البلاغة من حيث هي قطعة أدبية،دراسة الأساليب الفنية في الأدب وسواه من الفنون،ودلالتها على شخصية المتفنن والاعتبارات النفسية والأدبية[3]؛أي ان المُؤَلف عبّرعن الكلمة في مراحل وذلك من أجل الاعتبارات النفسية والأدبية.

---

[1] .المرجع نفسه،ص:11

[2] .مصطفى الصّاوي الجّويني،مدارس البلاغة المعاصرة،دار العرفة الجامعية،الإسكندرية،(د.ط)،سنة 1995،ص:09.

[3] ينظر:المرجع نفسه ،ص11-18.

نجده قد دعا إلى التجديد البلاغة عن طريق إمدادها بعلم النفس وارتكازها عليه في التحليل والتعليل، وقد بدأ البحث بخلاصة صغيرة يقول فيها:

-عاودت وأعاود البحث في مسائل مفردة من البلاغة وتاريخها، لأن حاجتنا العلمية اليوم إنما هي الأبحاث الضيقة العميقة، لا الواسعة الشاملة.

-اتصلت البلاغة قديما بعلم النفس اتصالا وثيقا، ولو لم يلمح القدماء هذه الصلة، أو يرتبوا عليها أثر.

-نظرتنا المحدثة في صلة الأدب بالحياة، وفي تغيير الآراء في مسائل أدبية سياسية كإعجاز القرآن وتعليله، ثم في تغيير أساس نظرنا في تفسير القرآن"[1].

وهذا يعني أن الأساليب الفنية وسواها من الفنون لها صلة بالاعتبارات النفسية والأدبية وعلاقتها بعلم البلاغة، فالهدف منها تغيير الأفكار وإصلاحها.

اما في حديث الزيّات عن هذا الاتّجاه، نرى انه يذهب للقول بان الطالب في حاجة إلى ألوان كثيرة من الثقافة وحجة الزيات في ذلك أن دراسة النفس هي الينبوع الثرّ لما يزخر به الشعر والنّثر من مختلف الغرائز والعواطف والأفكار، **يقول فيما بيانه:**"وإذا كان من خصائص الكاتب أن يخلق أشخاصاً للقصص، ويمثل أهواء على المسرح، ويعالج أخلاقاً في المجتمع ويحلّل عقداً في النّاس، فمن غير المعقول أن يحس شيئا من أولئك إذا لم يكن عليها بأسرار القلوب، وأهواء النفوس، وما ينشأ من التّعارض والتّصادم بين الغرائز والأخلاق، وبين العواطف والمنافع"[2]، ويشير هذا الكلام إلى مخاطبة الكتاب وإبراز خصائصهم وذلك بحسب المقام الذي يقتضيه المخاطب، والقدرة على خلق الجمال في الأسلوب وهذا

[1] منير محمد خليل ندا، التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث، ص:97.

[2] أحمد حسن الزّيات، دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، بيروت، ط2، سنة1967م، ص40.

ما يستدعي دراسة خاصة لعلم النفس وعلم الاخلاق وعلم الجمال.

ونلاحظ أيضا أن الصّيحات تعالت إلى الاعتماد على علم النفس في بناء قواعد الدرس البلاغي، وقد ظهرت مبكراً في الدّراسات العربيّة منذ **احمد مصطفى المراغى**، الذي ألّف كتابه (**علوم البلاغة**)، ودعا إلى تطبيق العلم في البلاغة،ومن خلال الاهتمام بقواعد علم النفس تعويداً للنّاظر الرّكون إلى الوجدان والحس[1].

ونستنتج في الأخير، أنّه بين علم النفس وبين كثير من فنون القول وأساليب التعبير صلات يجب أن تدرس وتوضح معالمها، وكذلك ينبغي أن تراعى في تجديد البلاغة العربية.

المطلب الثاني:الاتجاه البياني

يُعَدُّ الاتجاه البياني من بين الاتجاهات الحديثة والملاحظ أن هذا الاتجاه والّذي تتزعّمه عائشة عبد الرحمن(1913م-1998م)والمعروفة ببنت الشاطئ والتّي قالت عن منهجها في التّفسير البياني:"والمنهج المتبع، هو الّذي تتزعّمه عائشة عبد الرحمن(1913م-1998م)والمعروفة ببنت الشاطئ والتّي قالت عن منهجها في التّفسير البياني:"والمنهج المتبع هنا، هو الذي خضعت له فيما قدّمت من قبل، بضوابطه الصّارمة، الّتي تأخذنا باستقراء اللّفظ القرآني في كل موضع وروده، للوصول إلى دلالته، وعرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها في الكتاب المحكم ،وتدبّر سيّاقها الخاص في الآية والسّورة، ثمّ سيّاقها العام في المصحف كله التماساً لسرّها البياني"[2].

[1] أحمد مصطفى المراغي ،علوم البلاغة(المعاني البين البديع)،دار الكتب العلمية،بيروت،ط4،سنة2007،ص:11.

[2] محمد رفعت أحمد الزّنجير،مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم،سلسلة الدّراسات القرآنية،ط1،سنة1428هـ - 2007م،ص:417-419.

وكذلك يظهر في معرض حديثه عن الأسلوب، فيذهب إلى القول بأنه هو مظهر الهندسة الروحيّة لهذه الملكة النّفسية ويبرزها للعيان ويصل بينها وبين الأذهان، وينتقل أثرها المضمر إلى الأغراض المختلفة والغايات البعيدة، **ويقول في اثر ذلك** :"وكيف البلاغة في لغتنا لم تعن إلاّ بالجمل وما يعرض لها في علم المعاني، وإلاّ بالصّور وما يتنوّع منها في علم البيان، أما الأسلوب من حيث هو فكرة وصورة معاً فقد سكت عنه سكوت الجاهل(...)"[1]، وتشير هذه الفكرة إلى إنكار البلاغة لفن الأسلوب على الرّغم من أهميّته وتجاهلها له وعرضها لعلمي البيان والمعاني فقط.

وإذا عدنا إلى الحديث عن المنهج النّفسي في التّراث اللّغوي فإن المصنّفات البلاغيّة القديمة حافلة بما يؤكّد العلاقة بين البلاغة ومراعاة الجانب النّفسي.ولعلّ **القاضي الجرجاني** (ت366هـ)في تحليله الملكة الشّعرية وإرجاعها إلى مجموعة من العوامل كالطّبع، والذّكاء، والرّوية، **ويقول في هذا الصدد:**"وقد كان القوم يختلفون(...)فيرقّ شعر أحدهم ويصعب شعر الأخر، ويسهل لفظ احدهم ويتوعّر منطق غيره، وإنما ذلك بحسب اختلاف الطّبائع وتركيب الخلق فان سلامة اللّفظ وتتبّع سلامة الطّبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة خلقه"[2].

ومن هذا المنطلق نجد أصحاب الاتجاه النفسي يقرّون بما قدمه القاضي الجرجاني من نصوص قيِّمة الدّلالة، وهذا النص خير دليل على أنَّ المؤَلّف يفاضل بين النّاس وهذا باختلاف الطّبائع وكذا الأحوال النفسية.

[1] مصطفى الصّاوي الجّويني،مدارس البلاغة المعاصرة،ص،155.

[2] القاضي الجرجاني:الوساطة بين المتنبي وخصومه،مطبعة عيسى البابي الحلبي ،مصر،ص:13.

وكذلك نلاحظ أن المنهج الذي تناولته بنت الشّاطئ، نجده حاضراً في كتابها التّفسير البياني للقرآن الكريم، وهي حريصة في منهجها على إقامة الصّلة بين علوم العربيّة وعلوم الدّين وبالعكس، **إذ تقول:**"فإذا كنت في دروسي الجامعية بقسم اللغة العربية بمصر، قد حرصت على توثيق علوم العربية بالبيان القرآني، فانّي في دراساتي القرآنية بجامعة القرويين، حريصة على توثيق علوم الإسلام بالعربيّة لغةً وبياناً، من حيث لا يصحّ لدارس فقه الإسلام دون الرسوخ في علوم العربية ، كما يصح له رسوخ في العربية دون دراية بعلوم القرآن والاسلام "[1]، وبهذا استطاعت المؤلفة ربط علوم العربيّة بالجانب الدّيني، وهذا عن طريق توظيف المنهج البياني في دراساتها القرآنية .

والملاحظ اجتهاد بنت الشّاطئ أنها دراسة لغويّة، ولدى تتبّعنا لتفسير سورة (**الضحى**) أنها اشتغلت على بيان معنى(**الضحى**)،ودلالتها في التّفاسير السّابقة عند الطّبري والرّازي وتفسير محمد عبده وكان حظ البلاغة قليلا[2].

وهذا يعني أنّ المؤَلّفة قد اتّبعت في تحليلها سورة (**الضحى**)المنهج البياني، وذلك في محاولةٍ منها لتقفّي دلالة الألفاظ، وإبراز اثر الكلمة بلاغيا.

أما يحي بن حمزة العلوي فقد حذّر من الغلوّ في الاهتمام بالجانب اللّغوي في الدّرس البلاغي لتأثيراته الضارة على الفصاحة والبلاغة، **إذ يقول في مقدمة طرازه:**"لهذا فإنّه كان من المفسّرين نظره في تفسير كلام الله مقصوراً على معرفة المعاني الإعرابية وبيان مدلولات الألفاظ الوضعيّة لا غير مما تتضمّنه

[1] المرجع نفسه،ص:389.

[2] عاشة عبد الرحمن،التّفسير البياني للقرآن الكريم،دار المعارف،ط7،(د.ت)،ص:17

من أنواع الفصاحة والبلاغة وتقرير مواقعها الخاصة، فانه يعدّ مقصراً في تفسيره لكونه قد أخلّ بمعظم علومه وأهملها، واعرض من اجل مقاصده وتركها، وهو معرفة الإعجاز لأنه موقوف على ما ذكرنا من معرفة الفصاحة والبلاغة جميعاً، ومن اعتمد في تفسيره كلام الله على ملاحظة جانب الفصاحة والبلاغة، ونزل المعاني القرآنية عليها، سلم من أكثر التأويلات النادرة وبعد عن حمله على المعاني الركيكة التي وقع فيها كثير من المفسرين كما هو مذكور في كتبهم"[1].

ومن هنا يمكننا القول أنّ موقع التّشكيل البلاغي من الصورة الفنية أو الاتّجاه البياني يرتفع أذا تطلّبه المقام،وانتصر بالمعنى وانظمّالى غيره من أجزاء الصورة التّي يتقاطع فيها مع باقي الأجزاء لإبراز البيان الرّاقي، والذوق الجمالي،والإعجاز البياني للقرآن الكريم.

المطلب الثالث: الاتجاه الأدبي

يُعَدُّ المنهج الأدبي من بين المناهج الحديثة التي تأوّلها المجدّدون، ولعلّ أبرز الذّين تناول هذا الاتّجاه **محمد حسن هيكل** في كتابه (**ثورة الأدب**)، **حيث قال**:"(...)ولعلّ الأدب في مختلف صوّره خير ما تتجلّى فيه مواهب أرباب التّعلم.حقّاً أن الفلسفة والعلم والتّشريع وسائر ميادين الحياة في حاجةٍ إلى رب قلم قدير يدفع تفكيره وتدفع ملاحظاته إليها قوة تكفل دوام تقدمها، لدوام حياتها. لكن الأدب بمعناه الواسع هو رحيق هذه جميعاً، وهو رحيق الفلسفة والعلم والتشريع وسائر ميادين المعرفة الإنسانية والأديب

[1] العلوي،يحي بن حمزةالطراز،المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز،تحقيق:محمد عبد السلام شاهين،النهضة العربية،بيروت،ط1،سنة1956م،ج1،ص:19.

الجدير حقا باسم الأديب هو الذي يستسغ هذا الرّحيق بسموّ عبقريّته وقوّة نبوغه(...)"[1]، إذ يشير هيكل إلى أهمية الاتجاه الأدبي في الدّرس البلاغي، وأنّ الأدب يجمع كل العلوم وفي مختلف ميادين الحياة.

وأيضا نجده يقول:"وعندي أنّ الأدب فنّ جميل، غايته تبليغ الناس رسالة ما في الحياة والوجود من حق وجميل بوساطة الكلام، والأديب هو الذي يؤدي هذه الرسالة ،فكلّ ما ينتجه فن الأدب الصّحيح في أيّة لغةٍ من اللّغات لا غاية له غير هذه الغاية، وكلّ أديب يكتب في أي باب من الأبواب إنما يريد بلوغها كلّها أو بلوغ جانب منها، والأدب العربي لا يخرج عن أدب سائر اللّغات في هذا التّعريف"[2].

وكذلك في مباحث تجديديّة الخاصّة بعلم المعاني عاد الجويني إلى المسائل النحوية في الأصول عند ويه وابن الانباري، ورأى أن نظرتهم للنحو لم تكن شمولية،إذ نادى بتوطيد العلاقة بين النحو والبلاغة في دراسة مسائل هذا العلم[3].

وقد كثر النّقاش النّقدي حول الأسلوب ودار ذلك في مستوى واحد هو مستوى الممارسة الإبداعية، فكان لابد أن تستتبع نوعاً من الدّرس الأدبي والتّنظير البلاغي لظاهرة التّجديد في الأساليب العربية إلى جانب استمرار التّعليق على كتابات أساليبها مختلفة عند المعاصرين:" لم يكن بد أن ينعكس

[1] مصطفى الصّاوي الجّويني،مدارس البلاغة المعاصرة،ص:166.

[2] المرجع نفسه،ص:167.

[3] مصطفى الصّاوي الجّويني،البلاغة العربية تأصيل وتجديد،منشأة المعارف،الإسكندرية،(د.ط)،1985م،ص:05.

هذا الصراع على أبحاث الدّارسين للبلاغة العربيّة، فضلاً على أن يؤثّر في النّظر إلى البلاغة العربيّة وما يجب أن يصيبها من تجديد أو تغيير"[1].

وفي الأخير نجد تثمينا لهذا المنهج عند شوقي ضيف، **إذ يقول**:"إنّ المنهج الأدبي ودراسته هي دراسة تأثيريّة ذاتيّة، تعتمد على التّذوق الشّخصي ينبغي أن لا تنتهي بصاحبها إلى أي ضرب من ضروب التّحكم في التّذوق،كما لا ينبغي أن تقوم على التّعمق في ظواهر الحياة الأدبية، وإتقان المعرفة بآثارها ونماذجها على مرّ الأزمنة اتقاناً يتغذّى به ذوقه غذاءً من شأنه أن يحيله ذوقاً مصفّى من كلّ الشّوائب، بحيث لا نقرأ انطباعاته، حتّى تتمتّع بها قلوبنا وعقولنا متاعاً هنيئاً، متاعاً يصوّر لنا فيه الأديب كيف يفكّر، وكيف يلاحظ، وكيف يتأمل في الأثر الأدبي، وكيف يستنشق معانيه ودلالاته وكيف يحلّله، وكيف يستخلص منه غذاءه بديعاً من الخوالج والخواطر"[2].

إذن،يتمثل هذا الاتجاه في ربط البلاغة بالأدب وذلك من أجل الاعتبارات والقواعد البلاغيّة والتي لا يمكن أن تكون إلا بعد تمدرس الطّالب بالأدب وخصوصيته.

المطلب الرابع:الاتّجاه البلاغي

يهدف هذا الاتجاه إلى تجديد البلاغة بنفسها ويكون ذلك في التعايش بين القديم والحديث حتى يعطي البلاغة أفضل نتاجاً وأقوى أثراً.

[1] خديجة السايح،مناهج البحث البلاغي في النّصف الأول من القرن العشرين،في مصر1990م-1950م،تقديم:منير سلطان منشأة المعارف، الإسكندريّة،ط1،سنة2000،ص:69.

[2] شوقي ضيف، البحث الأدبي، (طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره)، دار المعارف، القاهرة، ط6، سنة1976م، ص:133.

ولذلك نجد أنّ دراسة بيسوني عبد الفتّاح تقوم على المنهج البلاغي يرد لعلم البديع في إتباع وجهتين:الأولى يتم فيها دراسة أصول البلاغة دراسة فنية، وحرص فيها على:"تجلية ألوان البديع وإبراز أسرارها ودقائقها وإيضاح أنّ تلك الألوان ليست لمجرد الزّينة والزّخرفة الشّكلية فحسب بل أنّ التّحسين الذي تضفيه على الكلام ذاتي يقتضي المقام وتستدعيه الحال "[1].

وقد اعترّت هذه الدّراسة نقائص أهمّها اعتبار علم البديع محسناً ،وهو ما يتنافى مع بعض المحاولات التي اجتهدت في إيجاد الوظيفة الدّلالية لهذا العلم.

وكذلك نجد هذا المنهج قد جربه بعض الأساتذة البلاغة المعاصرين، أمثال **احمد موسى** في كتابه (**البلاغة التطبيقية**)، حيث عرَّف علم البيان بأنه"علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية "، ويرفض أن يكون مبحث الدّلالة وأنواعها بسبب من علم البيان[2].

ويمكن القول هنا أنّ المصطلح البلاغي عندما يكون معزولا عن قيمته لا يعطي موقفا جماليا، ولا يكشف عن إعجاز القرآن.

خاتمة الفصل:

وهكذا بدأت بوادر التّجديد واتّجاهاته تتّضح معالمها، وتبرز مناهجها،م ممهدة الطّريق لدعوات بلاغية جديدة للنّهضة بالعلوم والفنون والآداب، وكان لذلك أثر في دفع موجة التّجديد، والاهتمام

[1] بيسوني عبد الفتّاح فيّود،علم البديع(دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع)،مؤسسة المختار للنشر ،ط2،سنة2004م،ص:05.

[2] محمدرفعت احمد الزّنجير ،مباحث في البلاغة واعجاز القرآن الكريم،ص:387.

بقضية البلاغة، وكما نجد أيضا الكثير من العلماء الذين جاءوا بمجهودات حاولوا فيها إعطاء وجهة جديدة للبلاغة وذلك من اجل تطويرها وإدراجها ضمن ميادين مختلفة .

الفصل الرّابع

إسهامات محمد العمري

في

البلاغة المعاصرة

"تطبيقًا"

تمهيد:

يُعَدُّ محمد العمري من أهم البلاغيين العرب المعاصرين،والذّي كان له دور في تجديد مفهوم البلاغة وتطويرها،حيث كان يستعين في عمليته البحثية بجهاز مفاهيمي يجمع إلى القديم وعياً جيِّداً بالبلاغة المعاصرة،لماذا لا؟فهو غني عن التعريف وذلك عن طريق تشعبه بالتراث وتحكمه بالنظريات والمناهج العربية وكذا الغربية وإسهاماته العلمية والأكاديمية،كل هذا لإرجاع البلاغة العربية إلى الواجهة من الأفاق الدّراسات البلاغية والنّقدية.

وفي هذا الفصل الأخير،سأحاول تقديم تعريف موجز عن التّصور الأصيل للبلاغة الجديدة،مع إبراز أهم الإسهامات البلاغة المعاصرة"ل:محمد العمري"،وذلك من خلال كتابيه"البلاغة العربية":أصولها وامتدادها"و"الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغيَّة".

المبحث الأوّل:السيرة الذاتية"ل.محمد العمري"

المطلب الأوّل:مولده

ولد محمد عبد الله العمري سنة 1945بقرية سكورة جنوب المغرب تحصّل على شهادة الدراسات المعمقة والعليا سنة1981،ودكتوراه دولة في الأدب العربي بجامعة محمد الخامس بالرباط سنة1989،عمل كأستاذ للبلاغة وتحليل الخطاب والنّقد الأدبي في كليتي الآداب بفاس والرباط.كانت جهوده منصبة على قراءة البلاغة العربية القديمة قراءة نقدية نسقية والسعي إلى توظيفها في بناء بلاغة جديدة مستعيناً بالدراسات الغربية الحديثة.

لقد كان عضواً في اتّحاد كتّاب المغرب وخبير معتمد لدى اللّجنة الوطنية لمنح الاعتماد في الدّراسات العليا،والدكتوراه التابعة لوزارة التعليم العالي منذ1997م إلى جانب إشرافه على ثلاثة وحدات للبحث بجامعة"محمد بن عبد الله"بفاس،وكذا بجامعة محمد الخامس في الرّباط وهي وحدة النّقد القديم،وحدة التواصل والتحليل الخطاب،ووحدة البلاغة الجديدة والنّقد الأدبي،وهذه الأخيرة التّي يرأسها حالياً بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط من 1998مإلى غاية 2005م[1].

المطلب الثاني:مؤلفاته

1-مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية سنة1986م.

2-البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي في تحليل النّص(ترجمة وتطبيق)

[1] ابتسام بن خراف،تلقي النّص البلاغي عند الدكتور محمد العمري(مقارنة وصفية تحليلية)،بمخبر وحدة التّكوين والبحث [1] في نظريات القراءة ومناهجها،مجلة القراءات،العدد الخامس،الجزائر،سنة 2013،ص:58.

3-تحليل الخطاب الشّعري"البنيّة الصوتية" اتجاهات التّوازن الصوتي في الشعر العربي القديم1990م.

4-الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية سنة2001م.

5-البلاغة العربية أصولها وامتداداتها سنة1999م.

6-دائرة الحوار ومزالق العنف2002م.

7-البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول سنة2005م.

8-منطق رجال المخزن وأوهام الأصوليين سنة2009م.

9-أسئلة البلاغة في النّظرية والتّاريخ والقراءة سنة2013م[1].

وله أيضاً في الترجمة:

1-بنية اللّغة الشعرية:"جون كوهن"بمشاركة محمد الوليّ.

2-الاتّجاهات السيميولوجية المعاصرة"مارسيلو باسْكال"[2].

***وفي السرد صدرت له:**

-أشواق درعية للعودة إلى الحارة وزمن الطلبة والعسكر.

-إلى جانب إصداره رفقة زملائه مجلتين متخصصين في الدّراسات اللّغوية والبلاغية،إذ تولى إداراتهما وهي كالتالي:

*مجلة دراسات سيميائية.

[1] المرجع نفسه،ص49.

[2] المرجع نفسه:ص51.

*مجلة الدراسات أدبية لسانية.

ومن هذه الأعمال والنّشاطات تحصل على مجموعة من الجوائز التقديرية منها:

*جائزة المغرب الكبرى للكتاب سنة1990م.

*جائزة الملك فيصل العالمية فرع اللّغة والأداب2009م[1].

المبحث الثاني:كتاب"البلاغة العربية:أصولها وامتداداتها":

المطلب الأوّل:تلخيص الكتاب

أصدر محمد العمري كتابه الأوّل البلاغة العربية أصولها وامتداداتها سنة1993،بإفريقيا الشّرق سنة1999،بيروت-لبنان،الدار البيضاء(المغرب).

وقد تميّز هذا الكتاب بكونه مدونة تتسع بضخامة الحجم،واتّساع الزّمن الذّي يمتد عبر قرون،حيث يحتوي على 550 صفحة،وقد قسّم كتابه إلى قسمين وكل قسم تضّمّن فصول انضوت تحته عناوين فرعية،بالإضافة إلى المدخل عام والذّي كان عبارة عن مقدّمات وخلاصات،وفي الأخير ملحق.وقد تناول القسم الأوّل المفقود.

وقد سعى هذا الكتاب إلى تحقيق هدف طموح،وهو استقصاء البلاغة العربية من حيث الأصول والامتدادات"أي كتابة تاريخ جديد للبلاغة العربية".فإذا ما تتبعنا منهج الكتاب،نجد أنَّه ليس كتابة جديدة لتأريخ البلاغة بقدر ما هو تتبع لأصولها وروافدها ،ونجد أنَّ الكثير من الباحثين يحاولون قراءة هذا الكتاب قراءة جديدة،ويرجعها محمد العمري إلى عدّة اعتبارات أهمها:

[1] المرجع نفسه،ص:58.

1-اعتبار عام واقعي وتاريخي في أن يتعلّق بقلّة الدّراسات الجادّة التّي تتناول تراثنا البلاغي في علاقته بأدبه وبالأخر معاً.[1]

2-**اعتبار قرائي منهاجي**: نابع من تغير الواقع من حولنا،وكذلك من تطور آلياتنا التّحليلية ووعينا باللّغة وبالعالم وبشر وطنا الوجوديّة،فقد أدّى كل ذلك إلى بروز أسئلة جديدة متعلّقة بمختلف مناحي حياتنا،وهي أسئلة تتطلب مناهج قرائية جديدة تنطلق من الماضي،لا لتكرسه وإنَّما لتجدّد جلده وتجعله أساسًا لكل نهضة مستقبلية"فالماضي نَّص مفتوح للقراءة على الدّوام".[2]

إذًا هذه القراءة التّي يتبناها العمري،نجدها تمزج بين البنيوية وعلم الاجتماع الأدبي والمباحث البلاغة المعاصرة المنجزة،وكذلك تهتم بآليات التّواصل وتقنياته المتغيرة بسرعة في عصر الرّاهن،وكذلك قراءة البلاغة على ضوء جديد هو اللّسانيات وعلاقتها بالتّراث.

وكذلك يرى المؤَلّف أنَّ النَّظر في مجمل الإنجاز البلاغي وأنَّ التّراث البلاغي لا يزال ممتداً في ضوء الأسئلة البلاغية الحديثة التّي يطرحها وقوّتها وتماسك بنائها،وبالتّالي فهو:"محاور يثير الدّهشة من جانبين:من حيث الشمول والعمق"[3]،فالشمول من حيث المنطلقات والمصادر،ومن حيث تعدد المؤثرات وتشعب الأسئلة وخاصة منها ما يتعلق بقضيتي: الغرابة والمناسبة،فقد ارتبط سؤال الغرابة والانزياح والبديع باللّغة الشّعرية إبداعاً ونقداً.أمَّا سؤال المناسبة المقامية التّداولية فيراه"محمد

[1] المرجع نفسه، ص:59.

[2] محمد العمري،البلاغة العربية أصولها وامتداداتها،إفريقيا،الشرق،المغرب،1999م،ص:07.

[3] المرجع السابق،ص:29.

العمري"مرتبطاً"بالبحث عن عملية إقناعية خطابية من جهة،وبملائمة العبارة للمقاصد ضمن نّظرية النَّظم الإعجازية(أو ما يمكن أن ندعوه تداولية لسانية في مقابل التَّداولية المنطقية الإقناعيّة النّصية). وارتبط من جهة ثالثة بالبحث عن بلاغة ذوقية تقوم على الصّحة والمناسبة".[1]

أمَّا جانب العمق،فيرى"محمد العمري"أنَّه"يمكننا اليّوم أن تختلف مع عبد القاهر الجرجاني في مزامنته على المعنى وإقصاء الأصوات لكنّنا نستطيع أن نتجاهل كشوفاته الرّائعة وتحليلاته العميقة وتفسيراته الوجيهة..."[2]،وهذا يعني أنَّ الجرجاني اعتنى بالمعنى على حساب اللّفظ.كما سجّل"محمد العمري"أهم ما قام عليه منهج الجرجاني منها:

-بناء الشعر على المفارقة الدّلالية،ومعناها بناء يخرج من الجملة إلى النَّص.

-إدخال عنصر النظم باعتباره مراقبًا للمزية الانزياحية ومكمّلا لسانياً للبناء الدّلالي.

-تأويل قضية السّرقة تأويلاً لسانيًا شعريًا يتّصل بالتّخيل ويعتبر خروجاً من المنزلق الذّي وقع فيه نقاد الخصومات بين الفحول:

-الإلحاح على البعد الدّلالي للموازنات الصوتية.

-تأويل الضرورات الشّعرية وربطها بالمقاصد.

[1] المرجع نفسه،ص:30.

[2] المرجع نفسه،ص31.

-البناء على الصور البلاغية والتّي لم تكن كما هو شائع بلاغة جُملة.بل كانت إنجازاتها المتقدّمة العميقة قد انتقلت إلى مستوى النّص.[1]

ويلج العمري إلى الجزء الأوّل،ممّا اعتبره خروجاً عن القاعدة والقيّاس والذي استفاد منّه الدّرس البلاغي،وهو ما يخصّ مجاز القرآن،والنّاظر في المجاز الذّي خصّه العمري بالدّراسة يجده بعيداً عن المفهوم الكلامي،والذّي طوّره المعتزلة والأشاعرة ورأيناه ماثلاً في اتجاهات البلاغة المختلفة،إذ"يمثل مجاز القرآن عملية الغربلة المنهجية الأولى التّي تسمح باستخراج مجموعة من المقولات البلاغية بقدر ما تستخرج متناً من الأمثلة التّي ستكون لا حقًا وموضوعاً للتّأمل البلاغي ثمّ التّسمية والتّعريف".[2]

ثمّ نجدأنَّ أبا عبيدة(ت210هـ)جعل من كلمة مجاز مرادفاً للتّفسير وَالمعنى والتأويل،والغريب...،ويجتمع معناها على الطرق والأساليب اللّغوية الممكنة التّي اتّخذها القرآن الكريم للتعبير عن مقاصده،من تقديم وتأخير وحذف واختصار...وغيرها من الطّرق التعبيرية.فالعمري قام عملية حصر الأشكال المجاز عند"أبي عبيدة"،فوجدها تتركز في أشكال خمس،يقول في ذلك"بعد عملية استقصاء للأمثلة الدّالة (بغض النَّظر عن الشُروح المعجمية عن طريق المراد أو التّفسير)بدا لنا أنَّ إشكالات المجاز عند أبي عبيدة تندرج في الخانات التّالية:

1-تداخل الضمائر وتبادلها المواقع.

2-اختلاف أوجه الإعراب والقراءات.

[1] يُنظر:المرجع السابق،ص:32.

[2] موازي بلقاسم،سيميائيات،مجلة مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات،جامعة وهران-الجزائر،العدد الرابع،2013،ص:172.

3-استعمال اللّفظ في غير موقعه المتوقع ومخالفة ظاهر القول.

4-الزيادة والنُقص في تركيب الكلام.

5-النقل والإلحاق الدّلالي".[1]

ولم يكن المجاز هو المصطلح الوحيد الذّي استخدمه اللّغويون،فيما خرج عن قياس العربية،واطراد قوانينها،بل نجد الضرورة الشّعرية حاضرة ضمن اهتماماتهم،وكانت الإشكالية المطروحة هي بين اعتبار الضرورة مزّية،وبين اعتبارها عيباً،وما يشكل منعطفاً في مسيرة دراسة الضرورة الشعريّة هو التقاؤها مع المجاز،والصّلة القائمة بينهما تجمعها فكرة القاعدة النّحوية باعتبارها الحقيقة التّي يعتمدها البلاغيون معياراً لانزياح القول الشعري.[2]

وكذلك يتحدّث العمري عن الاتّجاه الذّي ينتمي إليه ابن قتيبة،باعتباره يهدف إلى الرّد على طعون المشككين،وبيان انسجام للنّص القرآني وحسن اتّساقه،ويلاحظ بأنَّ هذا التّيار لم يجد امتداداً في البلاغة العربية،وهو بذلك يمهد للقارئ إقصاء هذا التيّار من الجزء الثاني في مشروعه.لهذا فقد اشتغل العديد من العلماء المسلمين في هذا المجال لإثبات التنزيه القرآني،فابن قتيبة مثلاً في كتابه**"تأويل مشكل القرآن"**نجده قَبِلَ الرّد على الطّاعنين في القرآن،يقوم أوّلاً بتصنيف مطاعنهم،ثم الرّد عليها

[1] المرجع السابق،ص97.

[2] يُنظر:المرجع نفسه،ص:107.

بصفة إجمالية من خلال أربعة أبواب(**باب الرد عليهم في أبواب القراءات–باب ما ادعى على القرآن من اللّحن–باب التناقض والاختلاف–باب المتشابه**).[1]

وإذا كانت هذه القضايا التّي تناولها ابن قتيبة تتعلق أساساً بضبط النّص من حيث ما ادّعي من تناقض واختلاف،ثمّ أخيراً قضية المتشابه،وما يتفرع منه من بحوث مختلفة متعلّقة بالمجاز والاستعارة والحذف والتّكرار...فإنَّ **أولى** هذه القضايا كانت لغوية كلامية،و**الثانية** خطابية نصّية،في حين أنَّ **الثالثة** متعلقة بالغموض والإشكال في العبارة وما يتّصل بها من مباحث دلاليّة ونحوية كان قد تناولها في الحقيقة من العوامل الرّائدة في بلورة البحث البلاغي العربي في وقت مبكر.فهو يعتبر لمجاز خمسة عشر قسماً أدخل فيها كل أنواع العدول الأسلوبي،كالاستعارة والتمثيل والقلب والتّقديم والتّأخير والحذف والتّكرار والإخفاء والإظهار والتّعريض والإفصاح والكناية والإيضاح ومخاطبة الفرد ومخاطبة الجمع والعكس ومخالفة ظاهر اللّفظ لمعناه[2]...إلى أخر ذلك من المباحث ذات المنشأ الكلامي.

ثمّ انتقل العمري إلى الحديث عن الجاحظ،فيقول أنَّ الجاحظ قد عبّر عن هذا المنازع الأخير في بعض رسائله حول(نظم القرآن)حيث يقول الجاحظ:"(...)فكتبت لك كتاباً أجهدت فيه نفسي

[1] يُنظر:المرجع السابق،ص:114.

[2] المرجع السابق،ص:148-149.

وبلغت منه أقصى ما يمكن مثلي في الاحتجاج للقرآن والرّد على كلّ طعان،فلم أدع فيه مسألة لرافضي ولا لحديثي ولا لحشوي ولا لكافر مباد ولا لمنافق مقموع ولا لأصحاب النظام (....)[1]

لكنَّ محمد العمري يرى أنَّ هذه المرحلة القرائية،التّي بدأت منذ القرن الثاني واستمرت إلى الرّابع، لم يتجاوز أصحابها طرح سؤال منهاجي والخوض في قضية اللّفظ والمعنى والنَّظم دون التّحول إلى الإجراءات اللّسانية التفصيلية لاستيعاب الأوجه البديعية وتفسيرها.[2]

وقد أعقبت هذه المرحلة في نظر العمري المرحلة التّي جاءت مع عبد القاهر الجرجاني الذّي مزج بين بلاغتي الشّعر والنثر الخطابي،البديع من جهة والبيان والمعاني من جهة أخرى)وذلك لاستخلاص بلاغة جدليّة أساسها توظيف المعايير والمعطيات التداولية لإثبات تفوق النّص القرآني وانسجامه من جهة،وتأكيد على خصائص البلاغة الشّعرية التّي تعرّضت للعديد من الانتقادات والإهمال من جهة ثانية.

إضافة إلى هذه المشاكل البلاغية الكلامية كانت ثمّة قضايا جدلية حجاجية متعدّدة في مختلف الحقول المعرفية،لذلك نجد العمري يلجأ إلى طرح السؤال وذلك أنَّ"من المجازفة القول بأنَّ سؤال الهوية البلاغية في مرحلة وضوحه قد ارتبط بالسؤال ألإعجازي وحده،فالواقع أنَّه طُرح من زوايا نظر

[1] المرجع السابق،ص:154.

[2] يُنظر:المرجع نفسه،ص180.

أخرى.ومع ذلك فلا جدال في أنَّ الاعتبار ألإعجازي كان أهمّ الحوافز التّي دفعت إلى البحث عن جواب للسؤال التّالي:ما الذّي يجعل الكلام بليغاً ويجعل بعض الكلام أبلغ من بعض؟"[1]

لذلك يرى العمري أنَّه يمكن القول بأنَّ الدّخول في مجال تفسير الصورة هو ما يميز المرحلة الإعجازية في القرن الرابع في حين سيكون كشف السّر من هموم المرحلة الثّانية في القرن الخامس.

ثمّ تناول المؤلّف في كتابه"البلاغة العربية أصولها وامتداداتها"عن إفادة البيان العربي في هذا المجال ة الأرسطيّة البيّنة،حيث أنَّ أرسطو درس علاقة الخطابة بالفنون المجاورة لها كالجدل والسّياسة،كما اعتنى بالأحوال النّفسية المؤثرة في المخاطبين والأقيسة الخطابية،وكذا ترتيب أجزاء الخطاب وطبيعة الأسلوب فنجد أنَّ العمري يرى أنَّ كل تلك الأبواب التّي تحدّث عنها ارسطوا تمت الاستفادة منها داخل البلاغة العربية لكن بشروط معيّنة،فيقول:"(...)حين ننظر-مثلاً إلى قضية جوهرية في الخطاب الإقناعي،وهي قضية المقام الخطابي وملائمة الخطاب للأحوال اعتماداً على ثقافة اجتماعية ونفسية،بما تتضمّنه من بحث في العادات والقوانين والشّرائع والطّبائع والأقيسة والاستدلالات،وعلاقة كلّ ذلك بالوسائل الأسلوبية،نكاد نجزم بأنَّ الكتاب(فن الخطابة)قد أخذ كقطع غيار في مجال البيان والنّقد(أخذ منه قدامة مثلاً ما يتعلّق بالأغراض والقيّم)."[2]

إذْ أنَّ لإمعان النَّظر في الاقتراحات البلاغية الكبرى متضاربة في تاريخ البلاغة العربية،فيقول العمري"أنَّنا سنلاحظ أنَّ كتاب(فن الخطابة) قد دعَّم مفهوماً كبيراً كانَ يناسب البلاغة العربية

[1] المرجع السابق،ص:185-186.

[2] المرجع السابق،ص:277.

الكلاسيكية المحافظة،هو مفهوم الاعتدال والمناسبة المحققين للوضوح والمتعة النّاتجة عن حدٍّ أدنى من الإغراب"[1]،إذ أنَّ هذا الإغراب ليس مضللاً حيث يكون على حساب الوظيفتين الإفهامية والتّواصلية،وإنَّما هو بالأحرى محفوز للمخاطب لكي يبذل جهداً ذهنياً في الوصول إلى كنه الخطاب لصوره ودلالاته وأهدافه.

ويرى محمد العمري في قراءته هذه أنَّه فضلاً عن عوامل نشأة البلاغة العربية وتطوّرها وروافدها،فإنَّ ثمّة ثلاثة مستويات أساسية لا بدّ من الوقوف عندها لأنّها تمثّل النّضج البلاغي النّقدي التّداولي،وكذلك وضع نظرية بلاغية تستجيب للمتطلبات السياسية والفنية والاجتماعية.

***وهذه المستويات الثلاثة:** تتمثل في بدايات التّداولية،ثمّ البلاغة المدعومة بالمنطق،وأخيراً البلاغة النّقدية أو النّقد البلاغي،وهي كالأتي:

أ-البدايات التداولية:لقد ختم محمد العمري دراسته هذه بامتداد مشروع الجرجاني إلى قسمين،حيث قام بقراءة لخطاطة"الأسرار"والدّلائل"،راصداً عن خلالها التّحولات التّي طرأت على العلمين،وما يتوجب أخذه بعين الاعتبار في قراءة هذين العلمين.[2]

حيث يبدأ المُؤلّف قراءته"بأسرار البلاغة"،إذ يبني خطاطة الكتاب على ثلاثة مداخل،معتمداً على القراءة النّسقية التّي تؤدّي إلى كشف النّظام الذّي يحكم المشروع العلمي،فالمدخل الأوّل هو المواجهة التّي كشف عنها الجرجاني بين المعنى الصّحيح والمعنى التّخيلي،وهذا جزء من عمل الجرجاني والذّي

[1] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[2] يُنظر:المرجع السابق،ص:323.

يريد من خلاله أن يحل مشكل السّرقات الشّعرية ببيان المشترك بين الشّعراء[1]،والذّي لا يعتبر وجوده عند شاعرين سرقة،وبين الفردي الخاص الذّي يصنع التّمييز بين شاعر وأخر،وهنا تتأكّد ضرورة فهم الأعمال البلاغية في إطار الانشغالات الأدبية والنّقد لعصرها،لأنّها تمثّل إجابات عن الأسئلة المطروحة آنذاك،ويأتي المدخل الثاني من كتاب الأسرار حسب قراءة العمري للكشف عن التراثية"بين المعنى القريب المأخذ والمعنى بعيد المأخذ".[2]

وقد ظهر للعمري بأنَّ الجرجاني كانَ مهتماً بالإجابة عن الأسئلة التي طرحتها الخلافات المذهبية حـ ناز،بين مثبت مفرط فيه،وبين منكر مفرط في مزية،ليحل الجرجاني الأمر برأي وسطي"يقبل التّأويل في إطار المعرفة البلاغية مسترشداً بالمعطيات السّياقية التّي تحكم النّص".[3]

ويرصد العمري انتقال الجرجاني من الغرابة الشّعرية إلى المناسبة التّداولية،معتبراً دلائل الإعجاز عملاً مكمّلاً للأسرار حيث يشترك معه في المنطلق(اعتبار البلاغة في المعنى)ويختلف معه في المقصود منه،بين الغرابة وبين مناسبة المقاصد،وكذلك يهيمن على نسق الأسرار التّخيل الذّي يربطه العمري بالمحاكاة الأرسطية،أو القراءة العربية لمحاكاة أرسطو،ونجد"الدلائل"يهيمن على نسقه النّحو أو معاني النّحو[4]،ولا تختلف قراءة العمري للدلائل عن قراءته للأسرار،فقد رصد المداخل الأساسية للكتاب محدّداً

[1] يُنظر:المرجع نفسه،ص:328.
[2] يُنظر:المرجع نفسه،ص:329.
[3] المرجع السابق،ص:343.
[4] يُنظر:المرجع نفسه،ص:347.

التّقسيمات التّي تحكم نسقه،بين التّقسيم الثنائي الذّي وضعه عبد القاهر للمزية(في اللّفظ أو في النظم)،ثمّ تعديل الجرجاني لهذه الخطاطة إلى تقسيم ثلاثي(مزية في اللّفظ أو في النّظم أو فيهما معاً). ثمّ يكشف العمري عن مفتاح مهم في التّعامل مع دلائل الإعجاز،فالجرجاني كان يتعامل مع اللّفظ والمعنى باعتبارهما مادّة وصورة،وحصول المزية عند الشّاعر والإعجاز في القرآن إنّما يقع بالتّفاعل الحاصل بينهما،وليس باعتبار المعنى شائعًا فيكون مطروحًا،"فكان الغرض هنا هو التّمييز بين المكوّن النوعي والمكون غير النوعي في الشّعر".[1]

وهكذا كانت قراءة العمري للجرجاني تهدف إلى كشف أنساق مشروعه وبالبحث في المنجزات الأساسية التّي قدّمها.وكيف تفاعل الجرجاني مع أسئلة عصره،خاصة الأدبية والفكرية،وتمكنه من بناء تصور شامل لبلاغة تجمع بين الشّعري التّخيلي وبين التّداولي،وتحرص على مقاصد الإنسان المعرفية.

ب–البلاغة المدعومة بالنّحو والمنطق: يرى العمري أنَّه إذا كانَ المشروع الذّي قدّمه حازم القرطاجني مؤسّسًا على أصول منطقية فلسفية،فإنَّ القراءة التّي قدّمها السّكاكي مؤسسة على دعائم نحوية ومنطقية بحسب شهادته هو ذاته،وهدفه من ذلك الوصول إلى(علم الأدب).فعلم الأدب هو حصيلة عدّة أنواع أو علوم أدبية تبدأ من علمي الصّرف والنّحو وتتوسع إلى علمي المعاني والبيان

ن بهما يتمّ ويستقيم النّحو،وإليه ينضاف في هذه الوظيفة علم الصّرف بوصفه دراسة لتغيرات البنية الثابتة للمفرد في حين أنَّ النّحو دراسة للبنية المتّحولة في المركب،لأنَّ المدار في التّواصل بجميع أنواعه هو السلامة والنجاعة.ومن هنا نرى أنَّ السّكاكي يتحدّث عن"علم الأدب"ويراه محمد

[1] المرجع نفسه،ص354.

العمري"تصوّراً مبَكّراً لما يُسمى حالياً علم النّص،كما نجد شبهًا قوياً بين مفهومي الأدب عنده ومفهوم الثّقافة اليوم".[1]

وتندرج وظائف هذا العلم تدرجاً أدائيا قيميًا،فثمة:

1-المستوى الأدنى:الذّي هو مستوى المعرفة السّطحية بالموضوع الذّي لا يصل إلى مستوى معاناة النّصوص،لا إنتاجاً ولا تلقينًّا.

2-المستوى الأوسط:في إنتاج النّصوص الأدبية السّلمية من الخطأ والسّالكة سبيل الصّواب.

3-المستوى الأعلى:وهو المستوى الأخير والذّي يحقق علاوة الصواب،والقدرة على التّلقي والتّأويل والإنتاج ،وهي أمور مشروطة بضرورة حصول المتلقي على مقدار معيّن من الذوق الفنّي المرهف.[2]

وبعد تعاضد المنطق ببنيته الاستدلالية مع النّحو بدعامتيه المعنوية والبيانية في تأسيس علم الأدب،وهذا ما يدلّ على وعي مبكر بالطبيعة التّواصلية التّداولية للخطاب الأدبي بصفة عامة،فالبيان والمعاني لهما دور جدلي حجاجي كبير.

ويرى العمري بدوره أنَّ المعاني والبيان تتميمًا للنَّحو،وعلم المعاني قائم على الحدّ والاستدلال جاعلاً هذا الأخير،والنَّحو على حد سواء لخدمة علم المعاني والبيان:[3]

---

[1] المرجع نفسه،ص:481.

[2] المرجع السابق،ص:482.

[3] المرجع السابق،ص481.

***النحو–المعاني والبيان–الحد والاستدلال**

ولذلك نلاحظ أنَّ بلاغة السّكاكي تعتبر منطقة تقاطع النّحو(علم المعاني)والمنطق(علم البيان)والشّعر(علم البديع والعروض)،فبلاغته تتقاطع بين ثلاثة مباحث.

وكذلك يرى أنَّه إذا كان البيان بصفة إجمالية،فيتم وقع على منزلة وسط،بين الشّعر والمنطق،وبين وظيفة التّخيل ووظيفة المعرفة والاستدلال،فإنَّ"أنَّ المعاني فتقع بين النَّحو والمنطق.فمجالها التطبيقي المثالي للخطاب الإقناعي المرتبط بمقامات ملموسة محددة تساهم في تشكيل الخطاب"[1]،ويلعب المقام وما يتعلق به من عناصر تواصلية دوراً مهماً في بلاغة السّكاكي.

وثمّ ينتقل إلى أنَّ منطقة التقاطع بين التّوجه البديعي والتّوجه المقامي التّداولي هو مجموع الصور الداخلة عند السّكاكي ضمن علم البيان من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية.ثم تنفرد البلاغة المقامي بالتركيب النَّحوي،علم المعاني،وتنفرد بلاغة الشّعر أو البديع بما يسمى المحسنات،أو محسن الكلام،وهي كالتّالي:[2]

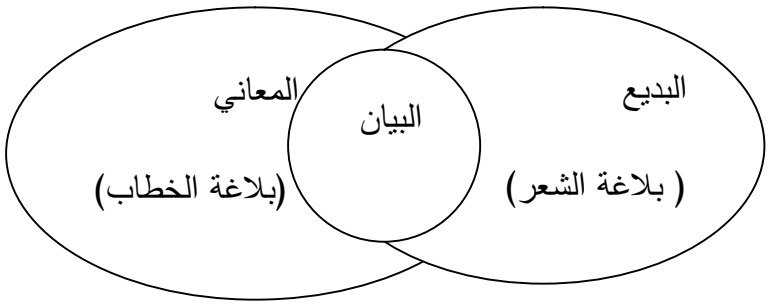

[1] المرجع السابق،ص:489.

[2] المرجع نفسه،ص490.

وقد تبين للعمري وجود تقاطع في البيان من حلال تصور السّكاكي،فالبيان يقع في منطقة الوسط،أي أنّه يربط مابين البديع والذّي هو(بلاغة الشّعر)،والمعاني والتّي هي (بلاغة الخطاب).

ج–البلاغة النقدية أو النّقد البلاغي:يرى العمري أنَّ عمل القرطاجني محاولة لتبيان بلاغة الشّعر العربي وذلك بالاستعانة بالتراثين العربي واليوناني،وليس تقسيمه محاور الكتاب إلى اللّفظ والمعنى والنّظم للأسلوب سوى تأكيد على اهتمامه بهذه البلاغة. ذ أنَّ هذه الأقسام ذاتها هي أقسام التخيل الشعري كما يصرح هو بذلك.

وهو يرى أ على البلاغة أنَّ تهتم بما وراء الظواهر،لأنَّ مستوى الظاهر قد أشع درسًا،فضلاً على أنَّه لا يُظهر إلاَّ جزءاً يسيراً من(المعنى الأسلوبي).[1]

ويرى العمري أنَّ تصور القرطاجني يقوم على مستويين،أحمدهما مستوى الجملة،ويُعالجه مبحثاً اللّفظ والمعنى،وثانيهما مستوى النَّص ويُعَالجه مبحث النَّظم والأسلوب وعلى الرغم من الانتقادات الموجهة إلى هذا التّصور،وخاصّة في الفصل بين لفظ والمعنى،إلاَّ أنَّه يكشف عن تداخل بين الجملي والنّصي من جهة،وعن سعي لِ"..إنشاء بلاغة للبلاغات التّي سبقته(بلاغة اللّفظ وبلاغة المعنى وما تركب منهما)،ويبدو كأنَّه يحس بأنَّ البلاغات السّابقة مجرّد مداخل تواصل إلى مركز واحد".[2]

وهذا يعني أنَّ منهاج القرطاجني قد رَكَز على خصائص الشّعر ومتعلّقاته ولم يولِ العناية للبلاغة البرهانيَّة الحجاجية.

---

[1] يُنظر:المرجع السابق،ص:500-501.

[2] المرجع نفسه،ص:505-506.

ويمكن القول في نهاية هذه الإطالة السريعة على جهود محمد العمري أنَّه قد وظّف العديد من الدّراسات البلاغية المعاصرة،كما اتّخذ منها الآليات لقراءة البلاغة الغربية والوقوف على مواطن الإبداع والوهن فيها،وليصنف اتّجاهاتها ويقف على روافدها.

وكذلك تبين فصول الكتاب تتبع مسيرة البلاغة العربية في اهتمامها بالحجاج من جهة،وفي علاقتها بالنُصوص الأرسطية من جهة ثانية.

المبحث الثاني: كتاب"الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية"

المطلب الأوّل: تلخيص الكتاب الثاني

لقد أصدر محمد العمري مكونات كتابه في بادئ الأمر إلى قسمين منفصلين ضمن منشورات مجلّة"الدراسات سيميائية أدبية لسانية"بين عامي1990-1991،والعنوان الكامل للكتاب هو:"الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشّعرية:نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشّعر"[1].

أمّا الكتاب في شكله النّهائي صدر سنة 2001،بدار البيضاء (إفريقيا،الشّرق،ويتألّف هذا الكتاب من مقدّمة وقسمين ،في كل قسم فصلين تندرج تحته عناوين فرعية بالإضافة إلى ملحق وخاتمة للقسم الثّاني،وفي الأخير قائمة المصادر والمراجع.

إذن،فالكتاب يسعى لتحقيق هدف بالغ الطموح والجرأة انطلاقًا من رصد دور الأداء الصوتي،(لغة،موسيقى،قافية،صوامت،صوائت،محسنات صوتية وعروض...)في تحقيق الدّلالة.

ولذلك فإنَّ محمد العمري"قد انطلق من نتيجة توصل إليها سابقًا في أطروحته حول"تحليل البنية الصوتية للخطاب الشّعري"،حيث اتّضح لمحمد العمري"أنَّ "دراسته الموازنات الصوتية لا تتمّ خارج أسئلة العروض الذّي هو فضاؤها،وأسئلة الأداء المؤول لها،حيث يجد الدراسة نفسه في موقع القارئ المحاور لمؤشرات النّص للمتكهّن بمقاصد المؤلف.ويتم ذلك كلّه في إطار حوار بين الصوت والدلالة.

[1] محمد العمري،الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية ،المغرب-إفريقيا،الشرق،2001م،ص:06.

بين الانسجام الصوتي والاختلاف الدلالي من جهة،وبين التمفصل الدلالي والتّقطيع النظمي من جهة ثاني.فالتوازن هو في الأساس اتّفاق الأصوات واختلاف الدّلالة".[1]

ثمّ حاول الكاتب في القسم الأوّل من كتابه،إكمال الحلقة بتتبع موقف الموازنات في التّراث البلاغي العربي.إلى جانب معالجة الكتاب عدّة إشكالية منها ما وردَ في مقدّمة،فكانت كالأتي:[2]

*لماذا اهتم بعض البلاغيين بالموازنات أكثر من غيرهم .

*لماذا انصرف عنها بعضهم وعاداها البعض الأخر؟

*ما مدى اندماج الموازنات الصوتية في مفهوم التعادل والمناسبة الدلالية لتكوين مفهوم ذي بعدين صوتي دلالي؟...وغيرها من الأسئلة.

وبذلك نجد أنَّ المتتبع"ل:محمد العمري"في مجال البلاغة بصفة عامة،يلاحظ أنَّه ثمة هدفًا خفيًّا يحركه ويشكل نقطة اهتمامه،وهو التّأكيد أوّلاً على وجود بلاغتين متمايزتين في تاريخ النّقد العربي:احدهما بلاغة نثرية خطابية والثانية بلاغة شعرية،وثانياً ما يمكن أن يُحدثه تداخل وتفاعل مفاهيم وخصائص كلا الجنسين من ثراء نقدي تأويلي.

ثمّ يذهب العمري إلى تحديد مفهوم البلاغة في الاصطلاح،فيحمله في"أنَّ إذا أردنا تتبع تعمال الكلمة ومشتقاتها والمجال المفهومي الذّي تحرّكت فيه منذ البداية فإنَّ أبا هلال العسكري يسعفنا بمادة مناسبة لا شك أنَّه استقاها من تيّاري البديع والبيان اللّذين حول الجمع بينهما في نسق

[1] المرجع السابق،ص:11.

[2] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

واحد،فيظهر من خلال كلامه أنَّ الموازنَّة كانت صفةً لمقومات صوتية هي:السّجع والازدواج وكل مظاهر التّوازن بين الصّيغ والقرائن".[1]

ولا يخفي محمد العمري استياءه ممّا لحق البلاغة الشّعرية من غبن،حيث استعبدت مقولاتها من التّحديد العام والحديث للبلاغة.

فهو يرى أنَّ(البلاغة)في المنظور الحديث تعني جهود السّكاكي في "مفتاح العلوم"والذّي ركز فيه على علم المعاني وما يتصل به خواص التّركيب الكلامية التّي تحفظ وتحدّد معايير الخطأ والصّواب.ويدخل علم المعاني في البيان بمعناه الشّامل الذّي يضبط قوانين الخطاب الشفوي عامّة،ويُعَدُّ الجاحظ من أفضل منظريه.وقد بَقِيتْ الموازنات الصوتية خارج نظرية المعن لتكزن جزءاً من"علم البديع"الذّي أُلحق القسم الثالث المُخصص أساساً لعلمي المعاني والبيان.

كما احتلت الموازنات الصوتية –التّي تُعَد العمود الفقري لجماليات الخطاب الشّعري والتّي يختص"البديع"بتمثيلها-موقعاً هامشياً من هذا التنظير،ويرجع ذلك إلى شروط النّشأة من جهة،وخصائص الخطاب من جهة أخرى.

فقد ارتبط كل من"المعاني والبيان"بنظرية المعنى التّي وُلدت في أحضان نظرية الإعجاز القرآني،والذي هو نصّ مقدّس ومنزَه عن (شبهة)الشّعر،وبالتالي رغب المنظرون القدامى أمثال السكاكي والجرجاني عن مقاربتهم إعجازا يا ببلاغة منشقة من الخطاب الشّعري.ولذلك يرى العمري أنَّ "المصدرين الأساسين لمفهوم البلاغة هما مصدران يهتمان إمَّا بالنّص القرآني(وليس شعراً على كل

[1] المرجع نفسه،ص16.

حال)،أو بالنّص النثري الشّفوي وشُروط تحقُّقِه شفوياً،سواء تعلّقت بجهاز نطق الخطيب أو هيئته أو بالألفاظ وخفَتها على اللّسان والسّمع.فالتياران معاً يُعيبان الشعر في إستراتيجيتهما العامّة،ويُغيبان مُكونًّا من مكوناته الأساسية المميزة له في ممارستها".[1]

وهنا لا يخفى محمد العمري إعجابه،من جهة بالخصوصية البلاغية الشّعرية التّي يُعبر عنها (علم البديع)خير تمثيل .ومن جهة يسمى (تيّار البلاغة العامّة)،والذي حاول فيه أصحابه الجمع بين قضايا بلاغة الخطاب الشّفوي(البيان)وبلاغة الخطاب الشّعري(البديع)ومن أبرز هؤلاء "أبو هلال العسكري في(الصناعتين)،وابن سنان في(سر الفصاحة).[2]

ويقف محمد العمري في هذا الكتاب عند خمسة مستويات يرى أنّها شكلّت الإطار الشّامل الذّي استوعب الجهود البلاغيَّة القديمة،سواء منها تلك التّي رغبت عن الإشادة بالموازنات الصوتيَّة ودورها في الخطاب،أو تلك التّي ركّزت عليها واهتمت بها.وعلى الرّغم من صعوبة التَّصنيف غير أنَّه حصرها في خمسة اتّجاهات على التّرتيب:[3]

1-البديع ونقد الشّعر.

2-البيان وبلاغة الإقناع.

3-البلاغة العامة أو الصناعتان.

4-نَّظرية المعنى أو بلاغة الإعجاز.

---

[1] المرجع السابق، ص:50-51.

[2] المرجع نفسه،ص:89.

[3] المرجع السابق، ص:52.

5-نَّظرية الأدب أو الوظيفة التّوازنيّة.

إذن،جميع هذه المراحل التناظرية تعرف تداخلاً معيّنًا،واشتراكًا في المشاغل النّقدية،إلاَّ التيّار الأخير فقد اضطلع به جماعة هم إلى الفلاسفة أقرب منهم إلى النَّقد الأدبي.

وقد دفعت هذه الملاحظات بعض هؤلاء الفلاسفة النّقاد إلى التنبيه في وقت مبكر إلى ما بين بلاغة الشعر وبلاغة الخطابة من تداخل،ومن أمثال ذلك حازم القرطاجاني في(المنهاج) وقد أشار إليها ابن سينا في(الخطابة)حيث يقول:"قد يعرض لمستعمل الخطابة الشّعريَّة كما يعرض لمستعمل الشّعر خطابيَّة،وإنَّما يعرض للشَّاعر أن يأتي بخطابيَّة وهو لا يشعر إذا أخذ المعاني المعتادة والأقوال الصحيحة التّي لا تخييل فيها ولا محاكاة ثمَّ يُركبها تركيبًا موزونًا،وإنَّما يفتر بذلك البله،وأمَّا أهل البصيرة فلا يعدّون ذلك شعرًا،فإنَّه ليس يكفي للشّعر أن يكون موزونًا فقط".[1]

ويعني هذا أنَّ الفلاسفة المسلمين يصنعون المحاكاة في المقام الأوّل ولا يرون إمكانيَّة تحقيق الشّعر،دون توفر الوزن الذّي هو بدوره أحد العناصر المُهيئة المساعدة على المحاكاة والتَّخيل.

ونستنتج في ختام هذا العرض البسيط،أنَّ محمد العمري استعان ببعض مناهج البحث العلمي،أوّلها المنهج اللّساني البنيوي،سمح له هذا الأخير بقراءة نسقية للمستوى الصوتي الذّي كان يعاني من الإهمال،في نظره،وقد تناول كتاب"الموازنات الصوتيَّة في الرؤيَّة البلاغيَّة"الإيقاع في البلاغة العربيَّة والشعر القديم"،فنجد أنَّ هذا الكتاب كان قراءة جديدة لتاريخ الفكر البلاغي العربي.

[1] المرجع السابق،ص:131.

خاتـــــــــــــــــــــــــــــــمة الفصل:

يتبين لنا أنَّ أعمال الأستاذ محمد العمري قد أسهمت في تطوير آليات النَّظر البلاغي والمقاربة المنهجيَّة لـ موروث البلاغي العربي القديم،إلى جانب إغناء المكتبة العربيَّة في المجالين،اللّساني الفلسفي والمنطقي وغيرها من علوم اللّسان.

كما جعل من البلاغة علمًا كليًا للخطابات التَّحليلية والتَّداولية الهادفة إلى تأثير والإقناع،وقد قام بنفض الغبار عن البلاغة الـ بيَّة التّي ظلت مهملة لسنوات طويلة،ومحاولة قراءتها قراءة جديدة تتواكب والعصر الحديث.

وفي الأخير،يبقى تبني ما ذهب إليه من طرح المفكر أو البلاغي"محمد العمري"،والذّي أفلح في رسم أفقه الخاص،أي العمل في إطار مشروع،ذلك أنَّه سلك مسارين متقاطعين،فأمَّا الأوّل فهو المسار التراثي وأمَّا الثاني فهو باب الترجمة الذّي زوّده بالأداة المنهجيَّة،كما نجده قد وُفِّقَ في إنتاج مصطلحات جديدة تستجيب للنَّسق الهرمي العام لبناء نظرية في البلاغة الحديثة.وقد لقيت هذه المصطلحات القبول،وأخذت طريقها إلى الرّواج.

خاتمة

على الرغم من أنّنا وصلنا إلى ختام هذا البحث إلاّ أنّه لا يزال يحتاج إلى تعمق ودراسة في خباياه،ويُعَدُّ بحثنا هذا ما هو إلاّ بداية في البحث في مثل هذه المواضيع،وفي رحلتنا مع هذا الموضوع الشّيق والذّي بقينا بجواره لمدّة لا بأس بها،والتّي توصلنا فيها إلى نتائج تتمثل فيما يلي:

*إنَّ مفهوم البلاغة العربيَّة في مجالها الواسع وفي مختلف تعريفات القدماء والمحدثين لها، وَجَدْنا أَنَّها تتّفق من حيث اعتبار البلاغة فن الأسلوب الجميل المؤثر في نفس القارئ.

*لاحظنا أنَّ البلاغة سَارت متطوّرة عبر تاريخ طويل، منذ كانت صفة للكلام الجيّد والقول المبيّن إلى أن أصبحت علمًا ذا قواعد وأحكام وفروع وأقسام.

*إنَّ اتّساع مجال البلاغة العربيَّة أدّى إلى التقاءها مع العديد من العلوم،من بينها:النَّحو،الدّين،الأدب،والنّقد واللّغة وغيرها....

*لاحظنا أنَّ البلاغة العربيَّة كانت تقوم على العلوم الثلاثة، وهي:المعاني والبيان والبديع.

*إنَّ علم النّحو وعلم البلاغة علمان قديمان لكليهما تاريخ ولكليهما علاقة وطيدة بالقرآن الكريم.

*إنَّ البلاغة العربيَّة كانت في صورة ملاحظات بلاغيَّة،ثمَّ اتّضحت معالمها عند الجاحظ وإنَّ كانت الدّراسات البلاغيَّة مازالت مختلقة بالدّراسات النَّقدية واللّغوية،ثمّ اكتملت فنونها على يدي عبد القاهر الجرجاني.

*قد وقفنا عند جهود أبرز العلماء،فدرسنا مباحث مستقلة لجهود عدد منهم،من أمثال:سيبويه، الجاحظ،عبد القاهر الجرجاني،الزّمخشري، السّكاكي، القزويني...وغيرهم.

*بمقدار ما كانت رحلة الصّعود طويلة وجليَّة بدأت بسيبويه والرّواد الأوائل منتهية بعد عبد القاهر.

*المصطلح البلاغي العربي مادّة معرفيَّة قابلة للتّجدد والعطاء ومن ثمَّ يمكننا تطوير حمولته الفكريَّة في الدّرس البلاغي الحديث.

*أنَّ التّجديد من المفاهيم التّي تردّدت بكثرة في الفكر العربي المعاصر، وهو في معناه العام يعني الابتكار والخلق والإبداع.

*الملاحظ أنَّ تجديد البلاغة العربيَّة كان منطلقه من تَّقليل قيمة المدوّنة القديمة، وفهم التَّجديد على أنَّه تحديد للنَّقائص والعيوب التّي وقعت فيها البلاغة منذ كتاب "مفتاح العلوم".

*تعدّ مصنّفات العمري نماذج حوار بين التراث البلاغي العربي وبين مقترحات النَّظريَّة الحديثة.

*أكبر مقاصد مشروع العمري هو الوصول بالبلاغة العربيَّة لتتّصل بالبلاغة العالميَّة،لأنَّها تُعَدُّ حلقة من حلقاتها،ولا يتمّ ذلك إلاَّ من إعادة القراءة والفهم للمؤسس علميًا،وَتَفَهُّم الجديد الوافد،وإجراء حوار بينهما قائم على قاعدة الذّوق.

*جاءت قراءة محمد العمري قراءة تركيبيَّة،تعتمد على النَّظرة الشُّموليَّة والمعالجة البنيويَّة،التّي سمحت بدورها بتحليل بنيات المؤلفات البلاغيَّة.كالبحث عن البعد الإقناعي للبلاغة العربيَّ والبلاغة العامة التّي تهدف إلى دمج الشّعريَّة الخطابيَّة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً:القرآن الكريم

ثانيًا:القواميس والمعاجم

1.جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار الملايين، بيروت . لبنان، ط1 ،سنة1979 م.

2.الزمخشري،أساس البلاغة،تح : محمد باسل عُوب السوداء،دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان،ط1، ج1، سنة 1419هـ-1998م.

3.الفيروز الأبادي،قاموس المحيط،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت . لبنان،ط8 ،سنة 2005

4.محمد المرتضى الزبيدي،تاج العروس،باب الدال،ج7 ،مطبعة حكومة الكويت،(الكويت)،ط2

5.ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت).

ثالثا:المصادر

1.الجاحظ،أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين،هارون،ج1،القاهرة،سنة 1376هـ-1984م

2.الخطيب القز ويني، الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني، البيان، البديع)، واضع حواشيه:إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، سنة1434هـ-2003م

3.ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج1، دار الجيل، ط5، سنة1401هـ

4.سيبويه:الكتاب،وضع حواشيه،إميل بديع يعقوب،دار الكتب العلمية،بيروت- لبنان،ط1،سنة 1420هـ-1999،ج1.

5.العلوي، يحي بن حمزة:الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق، محمد عبد السلام شاهين، النهضة العربية، بيروت، ط1956م، ج1، ص:19.

6.الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، ط3، سنة1403هـ-1983م.

.القاضي الجرجاني،الوساطة بين المتنبي وخصومه،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،وعلي محمد البجاوي،مطبعة عيسى البابي الحلبي ،مصر،(د.ت).

8.عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،قراه وعلق عليه:محمود شاكر،مكتبة الخانجي ،القاهرة،(د.ط) (د.ت).

9.عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة،قراه وعلق عليه:محمد محمود شاكر ،دار المدني،جدة،(د.ط) (د.ت) .

10.المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق:زكى مبارك واحمد محمد شاكر، (د.ط)، ج3، القاهرة، سنة1936.

11.المبرد(280هـ)، البلاغة، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1، سنة1979م.

12.عبد المتعال الصعيدي،الإيضاح في تلخيص مفتاح علوم البلاغة،ملتزم للطبع والنشر،ج1،(د.ت) (د.ط).

رابعا:المراجع

1.احمد حسن الزيات، الدفاع عن البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، ط2، سنة1967م.

2.احمد مصطفى المراغى، علوم البلاغة(المعاني،والبيان،والبديع)،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط4، 2007م.

3.احمد مطلوب، أساليب بلاغية(الفصاحة، المعاني، البلاغة)، وكالة المطبوعات، جامعة بغداد، ط1 سنة1979م-1980م.

4.احمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي،منشورات مكتبة النهضة،بغداد،ط1،بيروت،1384هـ-1964م.

5.احمد مطلوب ،عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده،وكالة المطبوعات،ط1،بيروت،1393هـ-1973م.

6.البيسوني عبد الفتاح فيود،علم البديع،دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع،مؤسسة المختار للنشر ،ط2،سنة2004م.

7.حامد صالح خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، سلسلة بحوث اللغة، جامعة أم القرى، سنة 1416هـ-1996م.

8.حسن سليمان قورة،تعليم اللغة العربية(دراسة تحليلية ومواقف تطبيقية)،دار المعارف،مصر،ط3، سنة 1977م.

9.حلمي علي مرزوق،في فلسفة البلاغة العربية(علم المعاني)،(د.ط)،(د.ت)،الإسكندرية،سنة 1999م.

10.حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس(مشروع قراءة)، منشورات الجامعة التونسية، تونس، (د.ط)، سنة 1981م.

11.خديجة السايح،مناهج البحث البلاغي في النصف الأول من القرن العشرين في مصر 1900م-1950م،تقديم:منير سلطان ،منشاة المعارف،الإسكندرية،ط2000،1م.

12.شفيع السيد، البحث البلاغي تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، (د.ط)،(د.ت).

13.شوقي ضيف، البحث الأدبي، «طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره"، دار المعارف، القاهرة، ط1، سنة 1967م.

14.شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، ط3، القاهرة، (د.ت).

15.طه حسين،حديث الأربعاء،دار المعارف،مصر،ط14،ج4،(د.ت).

16.عائشة عبد الرحمن ،التفسير البياني للقرآن الكريم،دار المعارف،مصر،ط7،(د.ت).

17.عبد الرحمن حسن حنبك الميربني،البلاغة العربية(أسسها،وعلومها وفنونها)،دار القلم،للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق،ط1،سنة1416هـ-1996.

18.عبد العزيز معطي عرفة، من بلاغة النظم العربي، عالم الكتب، بيروت، ط2، سنة 1403هـ-1985م).

19.عبد العزيز معطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عالم الكتب، بيروت، ط1، سنة1405هـ-1985م.

20.عبد القادر حسين،أثر النحاة في البحث البلاغي،دار غريب للطباعة والنشر،القاهرة،(د.ط)، سنة 1998م.

21.علي الجارم ومصطفى أمين،البلاغة الواضحة،(المعاني ،والبيان، والبديع)،دار المعارف،مصر، (د.ط) ،(د.ت).

22.علي عشيري زايد،البلاغة العربية تاريخها ومصادرها ومناهجها،مكتبة الشباب،(د.ط) ،(د.ت).

23.عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتوي،الإيضاح في علوم البلاغة،منشورات الجامعة المفتوحة،(د.ط)،سنة 1993م.

24.محمد العمري،البلاغة العربية"أصولها وامتداداتها"،إفريقيا الشرق،سنة1999م.

25.محمد العمري،الموازنات الصوتية في الرؤى البلاغية،المغرب،إفريقيا الشرق،سنة2001م.

26.محمد حسين أبو موسى،البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية،دار الفكر العربي،(د.ط)،(د.ت).

27.محمد رفعت احمد الزنجير،مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم،الجائزة الدولية للقرآن الكريم،ط1،دبي،سنة1428هـ-2007م.

28. محمد سالم محمد الأمين طلبة،الحجاج في البلاغة المعاصرة،دار الكتاب الجديدة المتحدة،ط1، سنة2008م.

29 .محمد عابد الجابري،تكوين العقل العربي،مركز الدراسات الوحدة العربية،بيروت،ط5،سنة 1991م.

30.محمد كريم الكوّاز،البلاغة والنقد(النشأة والمصطلح والتجديد)،مؤسسة الانتشار العربي،بيروت-لبنان،ط1،سنة2006م.

31.مازن المبارك، موجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، (د.ط)،(د،ت).

32.مصطفى الصاوي الجويني،البلاغة العربية تأصيل وتجديد،منشاة المعارف،الإسكندرية(د.ط)، (د.ط).

33.مصطفى الصاوي الجويني،مدارس البلاغة المعاصرة ،دار المعارف الجامعية،الإسكندرية،(د.ط)، سنة 1995م.

34.مهدي صالح السامرائي،تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية ،المكتب الإسلامي،دمشق،ط1، سنة1977م.

خامسا:الرسائل العلمية

1.أحمد مداح،مذكرة تخرج تنظيم البلاغي عند ابن قتيبة(276ه)من خلال كتابه تأويل مشكل القرآن،تحت إشراف:قدور إبراهيم،سنة2001م-2012م.

2.آيت أعراب صونية وعنكوش ليلة،البلاغة الجديدة وتحليل الخطاب،"دراسة نقدية لإسهامات محمد العمري"،شهادة الماستر،تحت إشراف:محمد الزين الجيلي،جامعة عبد الرحمن ميرة،بجاية،(د.ت).

3.حياة لشهب،المعجم العربي الحديث بين التقليد،معجم الوسيط(نموذجاً)،رسالة الماستر،جامعة فرحات عباس،سطيف،سنة2011م.

4.عثماني عمار،ملامح تجديد البلاغة في كتاب"البلاغة العربية،قراءة أخرى"لمحمد عبد المطلب (دراسة تحليلية نقدية)،رسالة دكتوراه،مخطوط،جامعة وهران،أحمد بن بلة،1437ه-2016م.

4.محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي،الحداثة في العالم العربي،دراسة عقدية،رسالة دكتوراه،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،كلية أصول الدين ،الرياض،سنة1414هـ.

5.منير محمد خليل ندا ،التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث،رسالة دكتوراه،بإشراف:علي العمارى ،جامعة عبد العزيز،مكة المكرمة،(د.ت).

خامسا:المجلات والدوريات

1.ابتسام بن خراف ،تلقي النص البلاغي عند الدكتور محمد العمري(مقاربة وصفية تحليلية مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها،مجلة القراءات،العدد الخامس، الجزائر ،سنة 2013م.

2.نصر الدين إبراهيم،فكرة النحو البلاغي في ضوء نظرية النظم(الإمام عبد القاهر الجرجاني)،مجلة كلية العارف الجامعية ،العدد العشرون،سنة1433هـ-2012م.

3.هواري بلقاسم ،سيميائيات،مجلة منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات،الرشاد العدد الرابع،سنة 2013م.

سادسا:مواقع الانترنت:

WWW.STartimes.com

الفهرس

بسملة

شكر

إهداء

مقدمة:.....(أ-هـ)

مدخل:البلاغة العربيَّة بين السليقة والتّدوين.....**07-20**

-النَّشأة والتّطور.....**08-20**

***الفصل الأول*:البلاغة العربيَّة وعلاقتها بالعلوم الأخرى.**

***المبحث الأوّل**:مفهوم البلاغة العربيَّة.....**23-51**

المطلب الأوّل:البلاغة"لغةً".....**23-24**

المطلب الثّاني:البلاغة "اصطلاحًا".....**25-34**

***المبحث الثاني**:أقسام البلاغة العربيَّة.....**35-42**

المطلب الأوّل:علم المعاني.....**35-39**

المطلب الثّاني:علم البيان.....**39-40**

المطلب الثّالث:علم البديع.....**40-42**

***المبحث الثّالث**:أهميَّة البلاغة العربيَّة ومراميها(أفاق).....**42-44**

***الفصل الثاني*:جهود العلماء في التراث البلاغي**.....

-توطئة.....**53-54**

***المبحث الأوّل**:البلاغة عند اللّغويين والأدباء.....**55-71**

المطلب الأوّل:سيبويه.....**55-58**

المطلب الثّاني:المبرد.....**58-62**

المطلب الثّالث:الفرّاء.....**62-66**

المطلب الرّابع:الجاحظ.....**67-71**

***المبحث الثّاني**:البلاغة عند النّقاد.....**71-84**

المطلب الأوّل:ابن المعتّز.....**71-74**

المطلب الثّاني:قدامة بن جعفر.....**74-76**

المطلب الثّالث:ابن رشيق القيرواني.....77**-79**

المطلب الرّابع:أبو هلال العسكري.....**79-84**

***المبحث الثّالث**:ازدهار الدّراسات البلاغيَّة.....**84-97**

المطلب الأوّل:عبد القاهر الجرجاني.....**84-92**

المطلب الثّاني:الزّمخشري.....**93-97**

***المبحث الرّابع**:مرحلة التّعقيد والجمود.....**97-110**

المطلب الأوّل:السّكاكي.....**97-103**

المطلب الثّاني: الخطيب القزويني.....**103-109**

-خاتمة الفصل.....**109-110**

الفصل الثالث:جهود العلماء في الدّرس البلاغي الجديد.

-توطئة.....**112**

***المبحث الأوّل**: مفهوم التّجديد العربيَّة.....**113-116**

المطلب الأوّل: التّجديد"لغةً".....**113-114**

المطلب الثّاني:التّجديد"اصطلاحًا".....**114-116**

***المبحث الثّاني**: الإرهاصات الأوّلى في تجديد البلاغة.....**116-120**

المطلب الأوّل: الإرهاصات الأوّلى في تجديد البلاغة العربيَّة..... **116-120**

***المبحث الثّالث**:جهود المجدّدين واتجاهات البلاغة العربيَّة.....**120**

المطلب الأوّل:الاتجاه النّفسي.....**120-123**

المطلب الثّاني:الاتّجاه الأدبي.....**123-126**

المطلب الثالث:الاتّجاه البياني.....**126-128**

المطلب الرّابع:الاتّجاه البلاغي.....**128-130**

الفصل الرّابع:إسهامات"محمد العمري"في البلاغة المعاصرة(تطبيقًا).

-توطئة.....**131**

*المبحث الأوّل:السيرة الذاتيّة لِ:"محمد العمري"ومؤلفاته.....132

المطلب الأوّل:مولده.....132

المطلب الثّاني:مؤلفاته.....132-134

*المبحث الثّاني:كتاب البلاغة العربيَّة "أصولها وامتداداتها".....134-148

المطلب الأوّل:تلخيص الكتاب.....134-148

*المبحث الثّالث:كتاب"الموزانات الصوتيَّة في الرؤى البلاغيَّة.....149 -154

المطلب الأوّل:تلخيص الكتاب.....149-154

خاتمة الفصل.....155

-خاتمة المذكرة.....156-157

-*قائمة المصادر والمراجع*.....159-166

-الفهرس..... 167-170